

**القيم الاجتماعية في الخطاب الديني والأمن الفكري
في مصر المعاصرة
(٢٠١٥ - ٢٠١٦) دراسة اجتماعية**

إعداد

د. مروة سعد جاد الحسيني

دكتوراه في علم الاجتماع - جامعة المنصورة

مقدمة:

يلعب الدين دوراً أساسياً في استمرار المجتمع وتماسكه، ورغم أن بعض منظري التنمية قد نظروا إلى الدين بوصفه إحدى العقبات التي تقف في سبيل التنمية، واتهموا البناء التقليدي للمجتمع بما يشتمل عليه المعتقدات الدينية بالجمود وعدم القدرة على مواكبة متطلبات التحديث والتنمية، فإن الأبنية التقليدية وما تشتمل عليه من معتقدات دينية قد أكدت - في بعض حالات التنمية الناجحة كما ه الحال في اليابان والصين وماليزيا على سبيل المثال - إمكانية استمرارها وتطورها ومواكبتها لظروف العصر. كما أن التجربة الماليزية استطاعت أن تشتق من الدين فيما دافعة للتنمية، وكشفت التجربة عن عدم تعارض بين الدين والحداثة، لقد كشفت هذه التجربة عن أن القيم المشتقة من الدين (الدين الإسلامي هنا) تدل على أنه دين لا يتعارض مع متطلبات التقدم والحداثة، وأنه يمكن أن يكون طاقة تنموية.

من ناحية أخرى فإن المناقشة النظرية للعلاقة بين الدين والحداثة لم تنته إلى قول فصل، والقول بأن الحداثة والتعددية لم تلغ الدور الذي يقوم به الدين في حياة الناس، ولكنها غيرت من الطريقة التي يتدين بها الناس، الأمر الذي يساهم بشكل أكبر في تشطي الخبرة الدينية. ومن ناحية أخرى فإن ثمة مؤشرات على عودة الدين بقوة إلى ميدان الحياة السياسية والاجتماعية. فالعالم المعاصر - الذي يشهد حالة من التقلب وعدم اليقين وعدم القدرة على التنبؤ بالمستقبل - يشهد أزمة أخلاقية، تتجلى في ضرب من "القلق الأخلاقي" الذي تكثر في ظلالة الخطابات حول ضرورة العودة إلى الدين، وحول فساد الأخلاق وتدهور منظومات القيم^(١).

وتتجه الإشكالية الرئيسية في هذا البحث إلى البحث في طبيعة القيم التي يبيتها الخطاب الديني. وتثير هذه الإشكالية عدداً من الأسئلة مثل: هل يوجد في الخطاب الديني موضوعات وقضايا تحت البشر على التنمية والنهوض والتقدم والسعي نحو تغيير الحياة؟ أم أنه خطاب أخروي يصب جُلَّ اهتمامه على ما بعد الحياة الدنيا، ولا ينشغل بقضايا النهضة والتنمية؟ وهل ثمة رسالة أو رسائل واضحة يبيتها الخطاب الديني في هذا الاتجاه؟ وهل ثمة توجه عام في هذا الخطاب؟ أم أنه خطاب مرسل لسد متطلبات مهنية؟

إن النظر العلمي في إجابة هذه الأسئلة لا ينفصل عن النظر في السياق الذي يتشكل فيه الخطاب الديني؛ فهذا السياق هو المنتج للخطاب في المحل الأول، كما أن الخطاب معني بتوجيه هذا السياق نحو أهداف محددة. ومن ثم فإن فهمنا لمشكلة هذا البحث يربط بين المتغيرات التي يشتمل عليها الخطاب وبين متغيرات السياق الاجتماعي الذي يتفاعل داخله كمنتج خطابي وكموجه خطابي^(٢). كما أن الإجابة عن هذه الأسئلة تفتح آفاقاً نحو فهم أعمق للخطاب الديني الإسلامي، ونحو فهم الدور الذي يلعبه الدين في حياة الناس، كما أنها تكشف طبيعة التوجه العام للخطاب، والتعرف

(١) أحمد عبد الله زايد، قيم التنمية في الخطاب الديني المعاصر، الورقة البحثية رقم (٢١)، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار لعام ٢٠١١، ص ٥.

(٢) أحمد عبد الله زايد، قيم التنمية في الخطاب الديني المعاصر، الورقة البحثية رقم (٢١)، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار لعام ٢٠١١، ص ٢٨.

على الإطار الفكري الذي يغلب عليه، ومن ثم فإنها تفتح آفاقاً أعمق نحو تطوير هذا الخطاب وتجديده.

وتشير الدراسات الاجتماعية والسياسية الحديثة المتعلقة بالمجتمعات العربية، ومجتمعات الدول النامية عموماً، أن الدين بالنسبة لهذه المجتمعات ذات الثقافة التقليدية يعد عاملاً فاعلاً ومؤثراً في بلورة وصياغة هذه الثقافة، وبالتالي يصبح فاعلاً ومساهمياً في تشكيل الوعي الجماعي لهذه المجتمعات، ومن هنا تصبح عملية التحريك والحشد السياسي لأفراد هذه المجتمعات (تعبئتهم سياسياً) سهلة جداً وذات فعالية. وفي هذه الحالة يتم الاعتماد على عناصر الثقافة التقليدية التي يأتي العرف ونظام العادات والتقاليد والدين في مقدمتها، ومصر لا تخرج عن هذه القاعدة العامة تاريخياً، فالدين مثل الأداة الفعالة والمحركة للرأي العام في التاريخ المصري الحديث. بالرغم من الدور الهام التأثير العميق للدين في المسيرة الإنسانية والحضارية للشعوب، إلا أن هذا الدور يتم استحضاره وتوظيفه بشكل أكثر فعالية.

أما التساؤل الرئيسي للدراسة، فهو:

ما دور الخطاب الديني في التعبئة السياسية؟

ويتفرع منه التساؤلات الفرعية الآتية:

١. إلى أي مدى مثل الدين مرجعاً ثورياً في تحريك الشعب المصري سياسياً؟

٢. ما المجالات التي تركز عليها الخطاب الديني؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

١. ما الدور الذي لعبه الدين (كعامل ثوري) في التحريك السياسي لدى الشعب المصري؟

٢. ما المجالات التي ركز عليها الخطاب الديني؟

المنهج:

تحاول هذه الدراسة أن تركز جل اهتمامها على المنتج نفسه الذي هو النصوص الخطابية التي ينتجها دعاة المساجد. ومن هنا فقد اتجهنا نحو دراسة مجموعة من خطب المساجد التي تعتمد على الاتصال المباشر بالمتلقي كعينة ممثلة لخطاب الدين الإسلامي. اشتملت عينة الخطب التي تم تحليلها على (٢١) خطبة من خطب الجمعة في عامي ٢٠١٥، ٢٠١٦ عن وزارة الأوقاف. وجاءت عناوينها كما يلي:

١. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وضرورة كف الأذى عن المجتمع.
٢. افتتاح قناة السويس أنموذج للإرادة والعمل.
٣. محاربة الفساد والإهمال مطلب شرعي وواجب وطني.
٤. الحج بين السلوك والنسك وفضل العشر الأول من ذي الحجة وخطورة الشائعات؟
٥. منزلة الشهيد.
٦. العام الهجري الجديد والمشاركة الإيجابية.
٧. الكلم الطيب وأدب الحوار.

٨. التنافس في الخيرات وخدمة الأوطان.
 ٩. الزكاة وأثرها في تحقيق التكافل الاجتماعي.
 ١٠. حتمية التضامن العربي والولاء الوطني في مواجهة الإرهاب والتحديات.
 ١١. رمضان شهر الإنفاق والبر والصلاة لا القتل ولا الإرهاب ولا التخريب.
 ١٢. أثر العبادات في السلوك.
 ١٣. المسلم من سلم الناس من لسانه ويده.
 ١٤. الاصطفاف لبناء الوطن والمحافظة عليه مطلب شرعي وواجب وطني.
 ١٥. خطورة الدعوات الهدامة وضرورة التصدي لها لتحقيق الأمن والاستقرار.
 ١٦. فضل الشهادة ومكانة الشهيد.
 ١٧. علو الهمة في خدمة الدين والوطن.
 ١٨. أمانة الكلمة ومسئوليتها.
 ١٩. الشكر حقيقته وأثره في حفظ النعم.
 ٢٠. نعمة الرضا.
 ٢١. من صور المال الحرام المدمرة للأفراد والمجتمعات.
- وتخضع هذه العينة من النصوص الخطابية الي تحليل المضمون عن طريق إحصاء موضوعات الخطاب الأساسية أو الفرعية، واستخلاص مضمون القيم والتوجهات الفكرية المتضمنة في النصوص.
- لقد أكدت بعض هذه الدراسات على أن القيم هي ركن أصيل من أركان التنمية، بل إنها اتخذت من هذه القيم مؤشرات للتنمية، فقد أكد ديفيد ماكلياند^(١) على أهمية الإنجاز في تكوين مجتمع قادر على التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، كما درج الباحثون في التنمية على تحديد مؤشرات يمكن من خلالها قياس التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، ولقد اتخذ هؤلاء من النموذج النظري لتالكوت بارسونز إطاراً للمقارنة بين قيم التقدم (الإنجاز، والتخصص، والعمومية، والحيادية، وتفضيل المصلحة العامة) في مقابل قيم التخلف (العزوة، والانتشار، والخصوصية، والوجدانية، وتفضيل المصلحة الخاصة)^(٢).
- تقسيم الدراسة :
- أولاً: مفاهيم الدراسة والدولة وإدارة المسجد:
- ثانياً: دور الدين في التعبئة السياسية في مصر (تأصيل تاريخي):
- ثالثاً: قضايا الخطاب الديني: دراسة في تحليل المضمون:
- رابعاً: استخلاصات قضايا الخطاب الديني :
- خامساً: الدور الاجتماعي للأئمة والخطباء في تحقيق الأمن الفكري.

(١) ديفيد ماكلياند، مجتمع الإنجاز، الدوافع الإنسانية للتنمية الاقتصادية، ترجمة عبد الهادي الجوهري ومحمد سعيد فرج، مكتبة الشروق، القاهرة، ١٩٨٠، ص٦.

(٢) السيد الحسيني، دراسات في التنمية الاجتماعية، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، ١٩٨٥م.

أولاً: مفاهيم الدراسة والدولة وإدارة المسجد:

تعريف الخطاب الديني:

تعريف الخطاب لغة: جاء في لسان العرب أن (الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب)^(١).

تعريف الخطاب اصطلاحاً: وعرف بأنه (كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها)^(٢).

جاء في المعجم الوسيط أن كلمة الخطاب والمخاطبة تعني الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان، وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب^(٣).

ويقصد بالخطاب الديني في هذا المقام ذلك التوجه بالكلام المسموع والمرئي والمقروء في الإذاعة والتلفزيون والصحافة المكتوبة ويقصد بالديني هنا ما كان متعلقاً بدين الإسلام خاصة^(٤).

ولهذا نجد الخطاب الإسلامي في الشأن السياسي يربط كل مفاهيمه وتوجهاته (حتى في المفاهيم ذات الطابع الإسلامي الخالص كالشورى وأهل الحل والعقد والبيعة) بالسلطة وبالصراع حول القوة، وهو ما يعني ولو بشكل كامن تبنى إدراك السياسة باعتبارها علم السلطة أو طريقة إدارة الصراع في المجتمع عبر الاحتكار المشروع للقوة، وهي نظرة تختلف بالتأكيد عن النظرة الإسلامية التي تؤسس السياسة على المصلحة وتربطها بالأمة وليس بالحكومة ونظام الحكم^(٥).

الأمن الفكري:

الأمن الفكري هذه الكلمة المركبة من مفهومين هما الأمن والفكر، وقد اختلفت العبارات في تحديد مفهومه:

فعرفه بعضهم: هو أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية^(٦).

وعرفه بعضهم: بأنه سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال، في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة^(٧).

(١) ابن منظور "لسان العرب - مادة "خطب".

(٢) أحمد عبدالله الطيار (٢٠٠٥) "تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد"، حولية كلية ٤ - أصول الدين القاهرة، العدد (٢٢)، المجلد الثالث، ص ١٢.

(٣) انظر: الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص ١٨٠.

(٤) علي جمعة، نقد الخطاب الديني في رمضان، مجلة العربي، العدد ٥٠٥، ديسمبر ٢٠٠٠، ص ٣٦ - ٣٩.

(٥) هبة رعوف عزت، نظرات في الخيال السياسي للإسلاميين: إشكاليات منهجية وسياسية، ضمن كتاب د. عمر الشوبكي، إسلاميون وديمقراطيون: إشكالات بناء تيار إسلامي ديمقراطي (القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، ٢٠٠٤).

<http://www.dohainstitute.org/release/19152928-7384-4c67-b857-6ebc93bdf6b>.

(٦) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، للدكتور عبد الله التركي ص ٦٦.

وبالنظر إلى ذلك فإنها لا تختلف اختلافاً كثيراً وتودر كلها حول مرتكزات الأمن للفرد والمجتمع والدولة وفق معتقدات دينية وفكرية.

وقد تضاربت الإسهامات العربية في تناول تحليل مصطلحاً ومفهوماً، وعلى هذا الأساس - اضطرب مصطلح "تحليل الخطاب" بغيره من المصطلحات. وهذه أرضية غير خصبة لنماء المصطلح ومفهومه ومجاله.

وواقع أن تحليل الخطاب ضرورة ملحة. يجب أن يأخذ على عاتقه مهمة دراسة وتحليل وتفكيك الخطابات، وتفسير ملفوظاتها وفق معطيات الخطاب الداخلية والخارجية، فهناك مؤشرات للعامل النفسي والإطار الاجتماعي والسياق عموماً، وعلاقة المرسل في الملتقى من خلال النص الذي يتوسط عملية الاتصال في داخل مفهوم الخطاب ذاته، مما يعني الاقتراب من الخطاب ذاته بوصفه موضوعاً خارجياً.

وقد اعتمد الخطاب الديني الإعلامي في عصور الإسلام الأولى على وسيلة الاتصال الشخصي والجمعي وخاصة في المساجد، إذ كان يلتقي فيها طلاب العلم بالفقهاء والعلماء خلال حلقات درس اتخذت فيما بعد نهجاً منتظماً كان له أكبر الأثر في نشر علوم الدين في المجتمع على مر العصور. ازدهر الخطاب الديني بظهور المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي بانتشار الكتب المطبوعة واقتناء الناس لها وازداد إعداده طلاب العلم وتعدت المعاهد الدراسية الدينية في مختلف المجتمعات الإسلامية.

اتخذ الخطاب الديني مكانة متواضعة جداً في البداية مع ظهور الإذاعة والتلفزيون في القرن العشرين. وكان ذلك في شكل برامج دينية كانت ثم تنوعت محتويات الخطاب الديني وأساليبه لتأخذ صيغاً مختلفة مثل الندوة الإذاعية، الدراما الدينية، المسلسل الديني، آذان الصلاة، خطبتي الجمعة وغيرها. ثم اتجه الرأي إلى إنشاء إذاعات دينية متخصصة تكون بمثابة ركيزة أساسية للإعلام الديني فأنشأت إذاعة القرآن الكريم في مصر وفي المملكة العربية السعودية وإذاعة نداء الإسلام في مكة المكرمة، وحذت الجزائر هذا الحذو بإنشائها في التسعينيات من القرن العشرين إذاعة القرآن الكريم، كذلك يمكن الحديث هنا عن تنامي الفضائيات الدينية في المجتمع الإسلامي بداية من الألفية الثالثة مع ظهور قنوات المجد والرسالة، وسمارتس واي والمنار والفجر، وهدى باللغة الإنجليزية وقبلها بظهور قناة اقرأ التي مهدت لظهور هذه القنوات.

ويمكننا أن نرد مكونات الخطاب الديني إلى نوعين: المكون الشرعي وهو ما جاء به الوحي الإلهي من قرآن وسنة نبوية صحيحة وهو أصل الخطاب الإسلامي ومنطلقه ومرجعيته الثابتة الدائمة، لكونه صادر عن الله سبحانه وتعالى. والمكون البشري وهو ما فهمه واستنبطه البشر من النصوص الشرعية وما نتج عن ذلك فكراً كان أو فقهاً أو علوماً وأدباً، لذلك فهو فرع للمكون الأول ومؤسس منه وإليه.

(١) الأمن الفكري الإسلامي، مجلة الأمن والحياة الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث ١٨٧٤، ١٨١٨هـ - ص ٥٠.

كما يؤكد منظرو الخطاب الديني أن الصراع الدولي القادم هو صراع حضارات، والحضارات في تصورهم تتمحور حول الأديان، فكل دين يمثل حضارة، والعدو الأوحى للغرب هو الإسلام^(١). ولم تقف خطورة الحرب على الإرهاب عند حدود الأبعاد السياسية والأمنية في ملاحقة الحركات الإسلامية، وإنما امتدت إلى محاولة التأثير على المجتمعات العربية والمسلمة من خلال تجفيف وتبديد منابع الدين داخل هذه المجتمعات والعمل على تغيير مناهج التربية والتعليم^(٢).

ويمكن القول أن المسجد كان يمثل مكاناً لاجتماع جماعة المسلمين خلف إمامهم أو من ينوب عنه، أو يمثل أحد مظاهر سلطة جماعة المسلمين في المدن التي يغزونها وتكون مكاناً لاجتماع من ينضمون إلى هذه الجماعة.

وكان الولاية في الولايات التابعة لدولة المسلمين يؤمون المصلين نيابة عن الخليفة، «وكانت إمامة الصلاة في مقدمة مهام الوالي، وكان من بين ألقابه: «أمير الصلاة». فإذا تعذر عليه أن يؤم المصلين لسبب من الأسباب، أناب عنه في إمامة الصلاة صاحب الشرطة أو غيره ممن يشغلون المناصب القيادية في حكومة الولاية^(٣).

وتذكر مصادر تاريخية أن بداية تنظيم ديوان الأوقاف كان في خلافة هشام بن عبد الملك، عندما تولى توبة بن نمر قضاء مصر (١٢٠ - ١١٥هـ = ٧٢٨ - ٧٢٣م)، ومن ذلك التاريخ أصبحت الأوقاف في مصر تابعة للقضاء الشرعي. حيث أصبحت إدارة الأوقاف مسؤولة مشتركة بين القضاء الذي له الإشراف العام والحكومة ممثلة في ديوان الأوقاف الذي يتولى الإدارة الفعلية ذاتياً أو بواسطة النظار والوكلاء^(٤).

وفي مرحلة لاحقة من مراحل التنظيم، أنشأت الدولة العثمانية ديواناً لتنظيم الأوقاف تحت اسم: نظارة الأوقاف السلطانية / أوقاف همايون نظارتي، في عام ١٢٤٢ هـ، وتطور ذلك إلى وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف التي أنشئت عام ١٩٢٠م قبل أن يتم إلغاؤها مع إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م^(٥).

وفي لائحة إجراءات ديوان عموم الأوقاف الصادرة عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م يتم النص على سلطات «مجلس إدارة الأوقاف - أحد أجهزة الديوان - التي تتضمن اختصاصات له أهمها: "عزل الخطباء والمدرسين ومشايخ الأضرحة والجوامع والتكايا وفقهاء ونقباء المقارئ، ممكن تكون لهم ماهيات أو مرتبات بالديوان أو جهات الحكومة، وتنصيب بدلهم فيما عدا مشايخ الجوامع

(١) عبد العزيز شادي، "الخطاب الديني والصراعات الدولية"، مجلة شؤون عربية، تصدر عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، ٢٠٠٢، ص ١٤٨.

(٢) محمد عمارة، "الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي"، دار الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤.

(٣) المقريري، الخطط، نقلا عن عبد العزيز محمد الشناوي، "الأزهر جامعاً وجامعة"، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، ص ١٤.

(٤) محمد عبد الحليم عمر، "محاضرة تجربة إدارة الأوقاف في جمهورية مصر العربية"، البنك الإسلامي للتنمية، جدة - المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٤، ص ١٣.

(٥) علي أوزك، إدارة الأوقاف الإسلامية في المجتمع المعاصر في تركيا، أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم، مؤسسة الخوئي الخيرية، بحوث ومناقشات الندوة التي عقدت في لندن، المملكة المتحدة، ١٩٩٦م، ص ٣٤٠.

المعتاد تعيينهم بالأوامر العالية (الخدوية) على أنه لا يمنع الأئمة والخطباء من إقامة الجمعة والجماعة بمحلات غير التي كانوا فيها(١).

وفي دستور ١٩٢٣، احتفظ بالملك بسلطته التقليدية على الشئون الدينية وفق المادة (١٥٣). وبعد يوليو ١٩٥٢ وتغير النظام السياسي، جرى إدماج ميزانية الأوقاف في ميزانية الدولة عام ١٩٥٣. وبدأت مرحلة جديدة من التطور القانوني لتنظيم وزارة الأوقاف وتنظيم المساجد. ثم يعطي قانون رقم ١٥٧ لسنة ١٩٦٠ وزارة الأوقاف اختصاص إدارة المساجد كلها وما تراه الوزارة من الزوايا، بالإضافة إلى اختصاص توجيه القائمين عليها، بالنص التالي:

وفي القرار الوزاري رقم ١٥٢ لسنة ١٩٧٣ يتم إرساء اختصاص مديريات الأوقاف بالمحافظات بالإشراف الفني والإداري والمساجد ويضع القرار بعض الإجراءات الخاصة بالإشراف على خطباء الجمعة.

كما نظم قرار وزير الأوقاف رقم ٢٠ لسنة ١٩٨٢ تشكيل مجالس إدارات المساجد» التي تتولى بعض المهام الإشرافية والمساعدة الخاصة بالمسجد، ولكن تحت إشراف مديريات الأوقاف، التي تتولى ترشيح أعضاء مجلس الإدارة، الذين يصدر بتعيينهم قرار من وزير الأوقاف، وتقوم المديريات باعتماد قرارات مجلس الإدارة قبل تنفيذها، وتحفظ الوزارة بحق عزل أعضاء المجلس أو حل المجلس كله، إن ارتكبوا مخالفات رأتها الوزارة تستحق قرار العزل أو الحل. وتم تغليظ سيطرة الوزارة على الخطب والدروس الدينية، ولأول مرة صدر قانون يقرر عقوبة لمن يمارس الخطابة أو التدريس بالمساجد بدون ترخيص من الوزارة، وفقاً لقانون ٢٣٨ لسنة ١٩٩٦. ومن جهة أخرى فقد نظرت المحكمة الإدارية العليا مجموعة من الطعون على أحكام قضائية تتعلق بنزاعات حول المساجد بين أطراف أنشأت مساجد، أفراد وجمعيات، وقامت بإدارتها ومن جهة أخرى وزارة الأوقاف التي قامت بضم هذه المساجد.

وفي مارس ٢٠١٤، أصدر الشيخ علي جمعة قراراً وزارياً رقم (٦٤) لسنة ٢٠١٤م بضم كل المساجد والزوايا إلى وزارة الأوقاف، وهو الأمر الذي تضمنه قانون تنظيم الأوقاف وحال دون تنفيذه نقص الاعتمادات المالية والعدد الكافي من الأئمة والعمال اللازم لإدارة المساجد. ولكن الوزير وجه إدارات الوزارة لاتخاذ اللازم للبدء في ضم كل المساجد وأعلنت الوزارة تبعاً عن حصيلة جهودها في ضم المساجد والزوايا. وأصدر جمعة قراراً بإزالة كل لافتات الجمعيات الدينية من على واجهات المساجد التابعة لها وتغيير أسماء المساجد التي تتضمن إشارة للجمعيات أو لتصنيف فكري أو ديني. حيث يشكل افتراض "الوحدة الدينية للمسلمين" في مصر، أحد ركائز سياسة إدارة المساجد التي امتدت من تاريخ "دولة المسلمين"، التي افتترض ارتباطاً بين الوحدة السياسية والدينية في دولة الخلافة، إلى الدولة الحديثة.

الآن الارتباط بين الولاء السياسي والوحدة الدينية تم تعديله في الخطاب الوطني المعاصر ليلانم واقع تعدد الأديان في مصر، وكون المسيحيون أقلية عرقية معتبرة، فكان خطاب «الوحدة الوطنية» الذي يشير إلى اتحاد جماعتين دينيتين هما "المسلمون والمسيحيون"، تعبر عنهما مؤسسات هي "الأزهر والكنيسة". ومثل ولاء الأزهر والكنيسة للنظام السياسي أحد الركائز

(١) إبراهيم البيومي غانم، "الأوقاف والسياسة"، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٤٠٠.

الأساسية للشرعية السياسية في الدولة المصرية. وتمثلت هذه الرؤية أساساً في العديد من السياسات والإشارة إلى الأزهر والكنيسة في دستور ٢٠١٢ وتعديلاته يمثل ظهوراً أوضح لهذه الرؤية.

وارتبط هذا الاندماج بين الولاء الديني والسياسي بتقييد حرية الدين ومحاولة تحجيم واقع التعدد والتنوع في محاولة للحفاظ على ثقل الدين الرسمي أو المذهب الرسمي أو المرتبط بالسلطة. وقد حل الأزهر محل وزارة الأوقاف في نفس السياسات. وفعلياً بعد ٣٠ يونيو يمكن اعتبار القطاع الدعوي خاضعاً بشكل ما لنفوذ مشيخة الأزهر، وهو ما يسفر حتى الآن عن المزيد من المركزية والتقييد ومزيد من اتكاء الدولة على الشرعية الدينية والاعتماد على الأزهر والأوقاف في المعركة السياسية من أجل إقرار شرعية السلطة الحالية ومواجهة خصومها.

و في الألفية الثالثة، فقد لجأت الولايات المتحدة إلى إستراتيجية جديدة في التعامل مع التيار الإسلامي السياسي تهدف إلى «اقتلاع مخالف» الإسلام ضد الهيمنة الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة، وتجنيب الحركات الإسلامية «المعتدلة»، حسب تصنيفهم، ضد مشاريع التحرر الموجودة داخل الأمة^(١)، ومن هنا اكتسب الخطاب الديني معناه السياسي. إلا أن الفكر الديني متأصل في الثقافة العربية والإسلامية والخط البياني لتاريخ ذلك الفكر يدل على مدى حيويته وديمومة حراكه^(٢).

ومن أهم سمات الخطاب الديني المعاصر ما أورده أحمد كمال أبو المجد ما يلي^(٣):

١. الترهيب والتخويف.
٢. الميل إلى التشديد على النفس.
٣. الغفلة عن مقاصد الشريعة والوقوف عند ظاهر النصوص وحروفها.
٤. الغفلة عن دور العقل وأهمية العلم في بناء التصور الإسلامي.
٥. مداومة الحديث عن الماضي، والذهول عن الحاضر، والخوف من المستقبل.
٦. علاقة المسلمين بالغير.

ثانياً: دور الدين في التعبئة السياسية في مصر (تأصيل تاريخي):

كما يعد المجتمع المصري منذ العصور الفرعونية الأولى من المجتمعات الأكثر تأثيراً وانسياقاً لفاعل الدين، فالنخبة الفرعونية الحاكمة جمعت ما بين الدين والسياسة، بل يمكن القول أن الموروث الفرعوني برمته وتنوعه، جاء حصيلة المزج ما بين الدين والدولة. فتشير معظم الأدبيات التاريخية التي تناولت الدولة والحكم خلال الأسر الفرعونية المتعاقبة على حكم مصر، وخصوصاً تلك التي تناولت قضايا التوسع ومواجهة التهديدات الخارجي، دور الفرعون

(١) Cheryl Benard, Civil Democratic Islam: Partners, Resources, and Strategies (Washington, DC: RAND, National Security Division, 2004), p.46.

(٢) زياد حافظ، "المفكرون العرب الجدد في الإسلام"، الآداب، السنة ٥٧، العددان ٧ - ٨ (تموز/يوليو - آب/أغسطس ٢٠٠٩).
(٣) أحمد كمال أبو المجد، "الدين والدولة في الوطن العربي (الملف الأول): مداخل إلى إصلاح الخطاب الديني المعاصر"، المستقبل العربي، السنة ٣٥، العدد ٤٠٦ (كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٢).

والمؤسسة الدينية (الكهنة) في تحشيد المحكومين لتأييد تطلعات الدولة في مواجهة الأخطار الأجنبية.

ما خلال المواجهة الساخنة بين الولاة الرومان في مصر ورجال الدين والرهبان المسيحيين (أقباط مصر) فأدبيات التاريخ الروماني لمصر والوثائق المتعلقة به، أبرزت دور الدين ومعتقيه من المسيحيين من أقباط مصر وكيفية رفضهم المطلق للتخلي عن المسيحية، وتعرضهم للمذابح وقيامهم بعصيان مدني ضد مؤسسات الحكم الرماني في مصر، ومن ثم لجونهم للمقاومة المسلحة المدعومة من الكهنة والرهبان والكنيسة^(١).

وفي هذا الصدد لجأ صلاح الدين الأيوبي إلى كبار علماء الأمة في مصر، والقضاة، والأزهر، بعدها نجح أولاً في الاعتماد على النخبة الدينية ومؤسساتها في القضاء على المذهب الشيعي الفاطمي^(٢). واستكمالاً لما تقدم، نجحت قيادة الدولة المملوكية في مصر في تعبئة الرأي العام، وتحشيد جماهير الشعب المصري، انطلاقاً من الجامع الأزهر في الإعداد والتهيئة لحرب التحرير ضد بقايا الوجود الصليبي، وكذلك إتبع نفس الخطوات في مواجهة العدوان المغولي.

وفي التاريخ الحديث لمصر، كان للعامل الديني دوراً في استنهاض المصريين 4 لمقاومة الغزاة الفرنسيين، حيث اعتبرهم المصريون كفاراً يجب قتالهم شرعاً^(٣). كما لعبت المؤسسة الدينية في تدعيم مواقف عرابي في مواجهة الخديوي توفيق، حيث طالب شيخ الإسلام، وقاضي قضاة مصر، ببقاء احمد عرابي في منصبه كوزير للحربية رافضين قرار الخديوي بعزله. أما أثناء الثورة العرابية فقد ناصرها كلاً من، الشيخ عليش، الشيخ حسن العدوى، وعبد الله النديم وغيرهم. وفي عصر مصر الملكية، بقي الدين مصدراً لشرعية السلطة، كما يذكر بعض الدارسين أن الملك فاروق حاول إضفاء شرعية لحكمه، من خلال بعض التصرفات الدينية من قبيل أداء صلاة الجمعة كل أسبوع في أحد مساجد القاهرة^(٤).

كما اتجه جمال عبد الناصر إلى الجامع الأزهر يخطب في الجماهير أثناء العدوان وكشف الخطاب السياسي الناصري "ذات الصيغة التعبوية" مدى التوظيف للرموز الدينية، ومن خلال الاستخدام للتراث الديني والإشادة بتاريخ الأزهر الشريف في الكفاح ضد الاستعمار.

ولما بدأت وسائل الإعلام الغربية بالترويج لمحاولة استهداف عبد الناصر شخصياً، وليس الشعب المصري كما روجت وادعت، قام عبد الناصر بإلقاء خطاب حماسي بتاريخ ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦ بعد صلاة الجمعة مباشرة في الجامع الأزهر.

والمواقع أن الإدراك الناصري لدور الأزهر- الرمز في عملية التعبئة السياسية هو الإدراك الذي كشف فيما بعد عن الرؤية الناصرية لهذه المؤسسة الدينية الرسمية والتي اتضحت كسلوك سياسي في مشروع تطوير الأزهر عام ١٩٦١، ووصلت إلى أقصاها حين دخل الأزهر حلبة الصراع السياسي ضد النظم العربية المعادية لعبد الناصر في عام ١٩٦٧. وعلى هذا الأساس

(١) مراد كامل، حضارة مصر في العصر القبطي، القاهرة، مطبعة دار العالم العربي، ١٩٨٣، ص ٣٢.

(٢) عبد الناصر محمد سرور، دور الخطاب الديني في التعبئة السياسية في عهد الرئيس عبد الناصر (أزمة ١٩٥٦، ١٩٦٧ نموذجاً)، (في) مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية ٢٠١١، المجلد ١٣، العدد ١ (A) ص ص ٧٢١-٧٤٠.

(٣) كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصريين، ط١، القاهرة، دار ابن خلدون، ١٩٨١، ص ١١١.

(٤) كمال المنوفي، الثقافة السياسية للفلاحين المصرية، مرجع سابق، ص ١٤٥.

ركزت الحكومة المصرية في عهد الرئيس عبد الناصر على إعادة صياغة وتقييم منهاج مادة الثقافة الوطنية بالارتكاز على الدين والعقائد السائدة والعلوم الدينية القديمة والتاريخ الحي للصحابة، والتاريخ الحديث للزعامات الوطنية^(١).

كما يتضح دور الدين في مجال التوظيف السياسي لأسباب تعبوية لدى عبد الناصر في المرحلة التي أعقبت هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧، حيث امتلأت خطب وتصريحات عبد الناصر بالمرادفات الدينية والدلالات اللفظية مثل: إرادة الله، الجهاد الأكبر، والجهاد الأصغر، والإيمان بالله والهزيمة قدر، والصبر، والثقة في نصر الله.

ثالثاً : قضايا الخطاب الديني: دراسة في تحليل المضمون:

وسنستعرض في هذا الصدد لتحليل مضمون بعض خطب الجمعة الموجودة على موقع وزارة الاوقاف المصرية وذلك على النحو التالي:

خطبة بعنوان: "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده وضرورة كف الأذى عن المجتمع"^(٢).

وتضمن ما يلي:

١ - متانة الروابط في المجتمع المسلم. ٢- تحذير الإسلام من أذى العباد. ٣- حرمة المؤمن عند الله. ٤- من صور الإيذاء المحرم للمسلم وغيره. ٥- فضل دفع الأذى عن الناس. فالمسلم لا يؤدي غيره بلسانه وكذلك المسلم يسلم المسلمون من شر يده، فلا يؤذ أحدا بضرب أو قتل، أو سرقة، أو كتابة ما يضر المسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم، أو يخذلهم في أعراضهم ويدخل في ذلك الاستيلاء على حقوقهم عن طريق الظلم والمعاملات المحرمة. وينبغي للمسلم أن يعلم بأن أذية المسلم من أعظم ما يقضي على حسنات المرء في الآخرة. ومن صور الأذى الكتابة على أملاك الآخرين بلا إذن من صاحب الملك، وتشويه الشوارع العامة بكتابة ما يتنافى مع ديننا وقيمنا وأخلاقنا وذوقنا، ورمي المخلفات في الطريق. ومن صور الأذى التدخل في عمل الغير وتتبع عوراته وهو لا يمت بصلة إلى هذا الفعل من أي جهة وليس مسئولاً عنه، ولا مخلولاً بذلك، بينما كان الواجب عليه أن ينصحه إذا رأى تقصيراً واضحاً دون التدخل في هذا العمل.

يتم التأكيد في الخطبة الثانية على ضرورة تعاون جميع أبناء المجتمع في كل ما يحقق له الأمن والأمان والرخاء والاستقرار، ومواجهة التطرف والمتطرفين فكرياً وثقافياً، والعمل على كشف الإرهابيين الذين يهددون أمن الوطن وسلامته من خلال حمل السلاح أو زرع المتفجرات أو القيام بأي عمليات تفجيرية أو تخريبية، مؤكداً أن إيواء هؤلاء أو التستر عليهم خيانة للدين والوطن.

(١) أحمد عطية، الناصرية والإسلام: دراسة فيونولوجية في كتاب عبد الحليم قنديل (محرر)، عن الناصرية والإسلام، القاهرة، مركز إعلام الوطن العربي (صاعد)، ١٩٩١، ص ١٣٨.

(٢) <http://awkafoonline.com/?cat=20&paged=20>.

خطبة بعنوان: افتتاح قناة السويس أنموذج للإرادة والعمل – ٢٢ شوال ١٤٣٦ هـ الموافق

٧ أغسطس ٢٠١٥ م. وتضمنت ما يلي:

١. قيمة العمل وأهميته في الإسلام.
٢. أهمية دعم المشروعات الاقتصادية.
٣. أهمية العمل بجد وإتقان.
٤. ماذا بعد افتتاح قناة السويس.

خطبة بعنوان: محاربة الفساد والإهمال مطلب شرعي وواجب وطني – ٦ من ذي القعدة

١٤٣٦ هـ الموافق ٢١ من أغسطس ٢٠١٥ م. وتضمنت ما يلي:

١. الإصلاح ضرورة شرعية وغاية إنسانية.
٢. الإصلاح والإيمان والتقوى قرناء.
٣. تحذير الإسلام من الفساد بكل أشكاله وأنواعه.
٤. من صور الإفساد في الأرض.
٥. ضرورة التصدي للمفسدين.
٦. الإهمال لون من أخطر ألوان الفساد.

خطبة بعنوان: الحج بين السلوك والنسك وفضائل العشر الأول من ذي الحجة وخطورة

الشانعات – ٢٧ من ذي القعدة ١٤٣٦ هـ الموافق ١١ من سبتمبر ٢٠١٥ م. وتضمنت ما

يلي:

١. فضل الحج ومكانته في الإسلام.
٢. الحج دعوة إبراهيم وشريعة محمد عليهما السلام.
٣. العبادات كلها تهذب السلوك وتقومه.
٤. الحج أنموذج للتربية والسلوك.
٥. آثار الحج السلوكية على الفرد والمجتمع.
٦. فضائل العشر الأول من ذي الحجة.
٧. خطورة الشانعات.

خطبة بعنوان: منزلة الشهيد – ٢٦ من ذي الحجة ١٤٣٦ هـ الموافق ٩ من أكتوبر

٢٠١٥ م. وتضمنت ما يلي:

١. فضل الشهادة وثوابها.
٢. مكانة الشهيد ومنزلته عند الله (عز وجل).
٣. الشهادة في سبيل الوطن والذود عن حياضه من أعلى درجات الشهادة.
٤. ثمرات الشهادة في سبيل الله (عز وجل).

خطبة بعنوان: العام الهجري الجديد والمشاركة الإيجابية – ٣ من المحرم ١٤٣٧ هـ

الموافق ١٦ من أكتوبر ٢٠١٥ م. وتضمنت ما يلي:

١. الهجرة النبوية والوفاء للوطن.
٢. التعايش السلمي من الدعائم الأساسية لبناء الدولة.

٣. قيمة الإيجابية في حياة المسلم.
 ٤. آثار المشاركة الإيجابية في بناء المجتمع.
 خطبة بعنوان: الكلم الطيب وأدب الحوار – ١ صفر ١٤٣٧ هـ الموافق ١٣ نوفمبر ٢٠١٥ م. وتضمنت ما يلي:
 ١. قيمة الكلمة الطيبة وأثرها في استمالة النفوس.
 ٢. أهمية الحوار بالكلم الطيب في حياة الإنسان.
 ٣. آداب الحوار في الإسلام.
 ٤. نماذج من الحوار الإيجابي في القرآن.
 ٥. آفات وسلبات تفسد الحوار.

والحوار بالكلم الطيب يعد من أفضل الطرق التي تؤدي إلى إزالة المبهمات، وهو وسيلة ضرورية للتواصل والتفاهم مع الآخرين، ووسيلة من أعظم وسائل التعارف والتآلف بين الناس، ولا يخفى ما للكلمة من أثر طيب في العلاقة بين الناس، والحوار بالكلم الطيب هو أحد الطرق الموصلة إلى الرجوع إلى الحق، وإضافة لكل ما سبق من أهمية الحوار فهو وسيلة لتهديب النفوس وتربيتها، ولا غنى للناس عنه بأي حال من الأحوال.

وفي هذا كله درس عظيم، وتربية ربانية، ندرك من خلالها أهمية الحوار في حياتنا، ونتعلم أن حسن الإصغاء للآخرين – ولو كانوا غير محققين من وجهة نظرنا – فمجرد حسن الإصغاء إليهم، يجعلنا نحتوي على كل ما لديهم من الحجج، والأعذار والتأويلات، للوقوف على سبب الخلاف وعلاجه، ولكي يعلم الطرف الآخر الذي تحاوره أنك تشاركه همومه، وأنت تسعى لإيصال الخير له. إن أدب الحوار يحتاج إليه الإنسان حتى مع من يختلف ليحفظ له حقه، كما حفظ النبي (صلى الله عليه وسلم) حقوق الناس كلهم، ويحتاج إليه العالم ليحفظ حقوق الطلاب، ويعدل بينهم، ويفتح لهم صدره، ويحتاج إليه الأب تحبباً إلى قلوب أولاده، ولا يكون ذلك إلا بالكلم الطيب.

خطبة بعنوان: التنافس في الخبرات وخدمة الأوطان – ٢٤ من المحرم ١٤٣٧ هـ الموافق ٦ من نوفمبر ٢٠١٥ م. تضمنت القضايا التالية:

١. فضل التنافس في الخبرات وأهميته.
٢. أهمية التنافس في خدمة الوطن.
٣. ميادين التنافس والتسابق في الخبرات.
٤. ضوابط التنافس.
٥. خدمة الأوطان مطلب شرعي وواجب وطني.

لقد جعل الإسلام السبق إلى الخبرات والمسارة إلى الصالحات مطلباً شرعياً حث المؤمنين عليه وأمرهم به. كما أن المسارعة والمسابقة في الخير صفة من صفات الرسل (عليهم السلام)، وصفة من صفات المؤمنين الموحدين أهل الفلاح في الدارين، فقد مدح الله تعالى المتصفين بها وأشاد بأصحابها، وبين أن بلوغ الدرجات تكون بما قدمه الإنسان من خيرات.

والتنافس من أهم مؤشرات القوة والنهوض بالوطن، فمن علامات التقدم والتحضر أن تصبح سمة التنافس بين القوى والأحزاب والشخصيات والفئات حول خدمة الوطن والاجتهاد في البذل والتضحية من أجل حمايته ورفعته الأمة، وتصديق ذلك بالأقوال والأفعال والبرامج والخطوات والإجراءات.

ومن أهم أعمال المسابقة بالخير التي يجب أن نهتم بها لرفعة الوطن ما يسمى بالمشاركة المجتمعية، التي يمكن من خلالها النهوض بالمجتمع والارتقاء به، والعمل على تحسين مستوى حياة المواطنين اجتماعياً واقتصادياً، فهي تعد من الضروريات، وليست شعاراً تربوياً ولا شعاراً مجتمعياً.

إن الشعور بالانتماء للوطن من أهم دعائمه التي تحافظ على استقراره ونموه، وهو يشير إلى مدى شعور الأفراد بالانتماء إلى وطنهم، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال (المشاركة الإيجابية في أنشطة المجتمع، الدفاع عن مصالح الوطن، الشعور بالفخر والاعتزاز بالانتماء له، المحافظة على ممتلكاته، وكل هذه المؤشرات يمكن أن تقاس ويُستدل عليها.

ومن ثم فإن من صور التنافس بالخير لخدمة الوطن الانتماء له، والإخلاص في العمل، والنية الصادقة حتى يكون الإنسان حصناً منيعاً لوطنه، مدافعاً عنه وعن دينه، والتصدي لكل ما يلحق به الضرر، أو يُشيع فيه الخراب، أو يُوقظ الفتنة، ويسعى للشقاق والخلاف.

خطبة بعنوان: الزكاة وأثرها في تحقيق التكافل الاجتماعي - ٨ صفر ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠ نوفمبر ٢٠١٥ م. وتضمنت:

١. منزلة الزكاة وأهميتها في الشريعة الإسلامية.

٢. الحكمة من مشروعية الزكاة.

٣. الزكاة وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي.

٤. أثر التكافل في استقرار المجتمع.

وإذا كان الإسلام قد اعتنى بالمجتمع عموماً، فإنه أعطى عناية خاصة بالفئات الضعيفة فيه، وقد جاء الوعيد الشديد في حق من يخل بها أو قصر في إخراجها. والحكمة من مشروعية الزكاة هي تطهير النفس المسلمة من رذيلة البخل والشح والشرة والطمع ورفع الدرجات ومواساة الفقراء وسد حاجات المعوزين والبؤساء والمحرومين وطهرة للمال من الخبث وتنميته وحفظه من الآفات. فالزكاة المفروضة ليست في الإسلام نظام جباية، بل لتحقيق مبدأ التكافل، وغرس مشاعر الحنان والرأفة وتوطيد العلاقات، وتحقيق الألفة بين شتى الطبقات.

والتكافل في الإسلام ليس مقصوراً على النفع المادي فحسب، وإن كان ذلك ركناً أساسياً فيه، بل يتجاوزهُ إلى جميع حاجات المجتمع، أفراداً وجماعات؛ مادية كانت تلك الحاجة أو معنوية أو فكرية، على أوسع مدى لهذه المفاهيم؛ فهي بذلك تتضمن جميع الحقوق الأساسية للأفراد والجماعات داخل الأمة لقد أسس الإسلام مفهوم التكافل وفق منظومة رائعة جميلة تضمن الحياة الكريمة لكل فرد من المسلمين وليس هذا على حساب أحد دون أحد فالفائدة تعم الجميع في الدنيا والآخرة.

خطبة بعنوان: حتمية التضامن العربي والولاء الوطني في مواجهة الإرهاب والتحديات –
٢٢ صفر ١٤٣٧ هـ الموافق ٤ ديسمبر ٢٠١٥ م. تضمن القضايا التالية:

١. دعوة الإسلام إلى الوحدة والتعاون.
٢. خطورة التفرق والاختلاف.
٣. الولاء للوطن مطلب شرعي وواجب وطني.
٤. التضامن العربي والإسلامي ضرورة حتمية.
٥. آثار التضامن العربي في مواجهة الإرهاب والتحديات.

ذلك أنه من عظمة الدين الإسلامي أنه دين يدعو إلى القيم الإنسانية والأخلاقية، ليس بين أتباعه فقط، بل بين جميع البشر. فوحدة الأمة والتعاون والتنسيق فيما بينها – في جميع المجالات – مطلب أساس لا غنى عنه لأي أمة تريد الفلاح والتقدم والرقي ومواجهة الشدائد والتحديات. وكما دعا الإسلام إلى الوحدة والتآلف نهى وحذر من التفرق والاختلاف، فهما سبب رئيس لكل ضعف وانكسار. فإن الاختلاف والتفرق بين المسلمين له خطورته وأضراره البالغة، فيمنع التعاون والتضامن فيما بينهم، مما يتسبب في تفكك الأمة وتمزيق أوصالها، وهدم وحدتها، وتفريق كلمتها، وتبديد طاقاتها المادية، والعسكرية، والفكرية.

وإعلاء المصلحة الوطنية على أي مصالح أخرى، وأن يكون الإخلاص لها مقدماً على أي مصالح حزبية أو فئوية أو تنظيمية محلية أو دولية، فقد أعلى الإسلام من قيمة الوطن وأهميته. ولا شك – أيضاً – أن أمتنا العربية في هذه الآونة تمر بمرحلة صعبة، تستوجب من الجميع التكاتف والتعاون والاعتصام، وأن تكون يداً واحدة في مواجهة التحديات. ومن ثم أصبحت الوحدة العربية والتضامن العربي ضرورة حتمية لها أهميتها في حماية مصالحها وأنظمتها السياسية، ومواجهة أطماع المستعمرين ومؤامرات الغزاة لإضعاف الأمة العربية وتفتيتها ليسهل لهم السيطرة عليها.

إن التضامن العربي الحقيقي يجعل من الأمة العربية مجتمعة رقماً صعباً لا يمكن تجاوزه في المحافل الدولية السياسية، أو التكتلات الاقتصادية، أو في مجال الفكر والثقافة والإنتاج الإعلامي، فالأمة في أشد الحاجة إلى نهضة شاملة، وتضامن شامل، والتضامن الشامل يتطلب تكامل الجهود، وحشد الطاقات، وهذه الشمولية تتطلب منا جميعاً العمل معاً لمواجهة حقيقية للإرهاب والجماعات الإرهابية التي يتعرض لها العديد من أقطار أمتنا، حتى يتحقق الأمن والسلام للأمة العربية وللعالم كله.

ذلك أن ظاهرة الإرهاب تعدّ من أخطر التحديات الداخلية التي تواجه العالم العربي والإسلامي، فهي ليست وليدة اليوم ولا الأمس، وإنما عرفها العالم منذ وقت طويل، ولكن الجديد هو ازدياد حوادثها، واتساع نطاقها، وازدياد ضحاياها، وظهور أشكال جديدة لها بشكل مخيف، إذ اتجه الإرهاب إلى القتل والتدمير للأبرياء دون تمييز بين طفل وامرأة وشيخ وشاب، وتعدى ذلك إلى الحرق والتنكيل والتمثيل بالقتلى، وفي كثير من الأحيان تحت شعار إسلامي، وبصيحات الله أكبر، مع أن الإسلام

براء من كل ذلك، فهو دين الرحمة، ودين الحضارة، ودين الإنسانية، حرم الدماء والأعراض والأموال.

ولا شك في أن الأعوام الأخيرة شهدت على وجه الخصوص تطور هذه الظاهرة!! فالجرائم الإرهابية في تزايد مستمر ولن ينتهي هذا التزايد إلا إذا تكاتف جميع الدول لمواجهة هذه الظاهرة، فالتضامن العربي بمفهومه الشامل يعني التعاون الحقيقي من أجل مواجهة التحديات، والعمل معاً على القضاء على جميع الخلايا والتنظيمات الإرهابية، مع بناء المجتمعات، وتقوية وحدة الأمة، ومن ثم فإن للتضامن والتعاون أثراً عظيماً، في وحدة الأمة وتماسكها، وفي توطيد العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والدول، وتعزيز أسس الصداقة والسلام بين الشعوب، والتخفيف من آثار الإرهاب الغاشم الظالم التي تواجهه، والقدرة على مواجهة هذه التحديات التي تمر بها، لمواجهة التحديات وحماية الأمن القومي العربي والمصالح العربية المشتركة، وبما لا يحتمل أي تسويق أو تأخير في ضوء ما تشهده الأمة العربية من تحديات، وبخاصة مواجهة التنظيمات والعناصر الإرهابية، حتى تُستأصل شأفتها ونجتتها من جذورها.

خطبة بعنوان: رمضان شهر الإنفاق والبر والصلة لا القتل ولا الإرهاب ولا التخريب – ١٦ من رمضان ١٤٣٦ هـ - ٣٠ يوليو ٢٠١٥ م. وتضمن القضايا التالية:

١. فضل الإنفاق والكرم في رمضان.

٢. جود النبي صلى الله عليه وسلم وعطاؤه.

٣. رمضان شهر البر للأقارب والصلة للأرحام.

خطبة بعنوان: أثر العبادات في السلوك – ١٧ يولييه ٢٠١٥ م. وتضمنت ما يلي:

١. ثمرة العبادة في الإسلام.

٢. فضل السلوك الحسن في الإسلام.

٣. منهج الإسلام في تربية المسلم على السلوك الحسن.

٤. أثر السلوك الحسن على الفرد والمجتمع.

خطبة بعنوان: المسلم من سلم الناس من لسانه ويده – ٨ شوال ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٤ يولييه ٢٠١٥ م. وتضمن ما يلي:

١. متانة الروابط في المجتمع المسلم.

٢. تحذير الإسلام من أذى العباد.

٣. حرمة المؤمن عند الله.

٤. من صور الإيذاء المحرم للمسلم وغيره.

٥. فضل دفع الأذى عن الناس.

خطبة بعنوان: الاصطفاف لبناء الوطن والمحافظة عليه مطلب شرعي وواجب وطني –

٢٨ من ربيع الأول ١٤٣٧ هـ الموافق ٨ من يناير ٢٠١٦ م. تضمنت ما يلي:

١ - مكانة الوطن في الإسلام.

٢ - من حق الوطن على أبنائه.

أ - حب الوطن والحفاظ عليه والدفاع عنه.

- ب - التحذير من استهدافه ومحاولات تفكيكه.
- ج - التحذير من إثارة الفوضى والهدم والتخريب والفرقة.
- ٣- ضرورة الاعتبار بحال الشعوب التي سقطت دولها في الفوضى والاختلال الداخلي.
- ٤- ضرورة وحدة الصف والأخذ على أيدي دعاة الفرقة والتخريب.
- ٥- دعوات التظاهر ضد استقرار الوطن دعوات مريبة يجب التنبيه لها والحذر منها ومن دعواتها.
- ٦- الدعوة إلى إسقاط الدولة جريمة شرعية.
- ولقد عُني الإسلام بالأوطان عناية فائقة، لما لها من مكانة عالية وشأن عظيم في حياة الناس، ولما للوطن من فضل كبير على الإنسان في تربيته وتنشئته، ولما له من آثار عليه في جميع مراحل حياته، لذا كان ارتباط الإنسان بوطنه وحبه لبلده الذي ترعرع على ثراه مسألة متأصلة في النفس، وفطرة فطر الله - تعالى - الإنسان عليها، فهو مسقط الرأس، ومهد الصبا، ومرتع الطفولة، وملجأ الكهولة، وموطن الآباء والأجداد، ومأوى الأبناء والأحفاد، وهو مستقر الحياة، على أرضه يحيا الإنسان، ومن خيراته يعيش، ومن مانه يرتوي. لذلك اهتم الإسلام بالأوطان كاهتمامه بالأشخاص لما بينهما من ترابط، فقد أعلى الإسلام من قيمة الوطن وأهميته، وإبراز مكانته، وحبه والاعتزاز به، فقرن بين حب الوطن والنفس والأهل.
- وقد أكد النبي (صلى الله عليه وسلم) على مكانة الوطن وأهميته وشرف الانتماء إليه حين هاجر من مكة إلى المدينة. ولما شرع في بناء الدولة الجديدة أراد (صلى الله عليه وسلم) أن يعلم أصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) والدنيا كلها أن الأوطان لا يسعى لبنائها إلا من أحبها.
- خطبة بعنوان: خطورة الدعوات الهدامة وضرورة التصدي لها لتحقيق الأمن والاستقرار - ٢٩ صفر ١٤٣٧ هـ الموافق ١١ ديسمبر ٢٠١٥ م. وتضمن القضايا التالية:
- ١- نعمة الأمن والاستقرار.
 - ٢- استقرار الأوطان ضرورة شرعية ووطنية.
 - ٣- من عوامل استقرار الأوطان.
 - أ - حب الإنسان لوطنه.
 - ب - إشاعة التآلف والتعاون بين الناس.
 - ج - السمع والطاعة لولي الأمر في طاعة الله وخدمة الوطن.
 - ٤- التحذير من الفتن.
 - ٥- خطورة الدعوات الهدامة على الفرد والمجتمع.
 - ٦- وجوب التصدي لهذه الدعوات.
- إن من أجل نعم الله (عز وجل) على الإنسان نعمة الأمن والاستقرار، فبدونها لا يهدأ للإنسان بال، ولا تطمئن له نفس، ولا يهنا إنسان بالحياة حتى لو أوتي الدنيا بحذافيرها، فسعادة الدنيا ونعيمها في تحقيق الأمن والاستقرار. فنعمة الأمن والاستقرار مطلب كل مخلوق على وجه الأرض، طلبها إبراهيم (عليه السلام) لأهله وقومه، فإبراهيم (عليه السلام) سأل الله (عز وجل) أن يَمُنَّ على مكة

بالأمن والرزق، وقدم الأمن على الرزق، لأن الرزق لا تكون له لذة إذا فقد الأمن، فبالأمن يهنا الإنسان ويشعر بقيمة الحياة، فاستجاب الله لدعاء نبيه وخليفه، وجعل من مكة مستقراً وبلداً آمناً بإرادته ومشيئته، وجعلها وطناً للإسلام، وذلك ببركة دعاء إبراهيم (عليه السلام)، بل إن إبراهيم (عليه السلام) قدم نعمة الأمن على العبادة والتوحيد. كما امتنَّ الله (تعالى) بهذه النعمة العظيمة على أهل قريش، فحباهم برغد العيش في الحياة، والأمن في الأوطان.

إن اختلال الأمن والاستقرار يؤثر على البلاد والعباد، حتى في العبادات – وهي الهدف الأول من خلق الإنسان – ولهذا كانت صلاة الخوف مختلفة عن صلاة الأمن في صفتها وهيتها، والحج كذلك يشترط في وجوبه على الإنسان أمن الطريق؛ فإذا كان الطريق غير آمن فلا يجب عليه الحج، ومن هنا فإن العبادات لا يتأتى الإتيان بها على أكمل صورة إلا بنعمة الأمن والاستقرار. فإذا شاع الأمن في أمة، واطمأن كل فرد فيها على نفسه وماله وعرضه نعم المجتمع بحياة هادئة مستقرة، لا رعب فيها، ولا اضطراب، ولا قلق، ونعم المجتمع كذلك بالتقدم والازدهار، ومن ثم فإن استقرار الأوطان ضرورة شرعية ومطلب وطني، ومقصد عظيم من أهم مقاصد الدين العظيم.

ومن عوامل الاستقرار: أن يحب الإنسان وطنه الذي يعيش فيه بكل حرياته المشروعة، وأن يشعر بقيمة الوطن الذي ترعرع على ثراه، وهذا ما جسده النبي (صلى الله عليه وسلم) عملياً، حين هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فقد علمنا (صلى الله عليه وسلم) حب الأوطان وشرف الانتماء إليها، وكان حبه (صلى الله عليه وسلم) لوطنه مكة المكرمة وشعوره بقيمته هو الأساس، رغم قسوة أهلها.

ومن ثم وجب على الإنسان أن يحافظ على وطنه بحبه وصيانه، والدفاع عنه، وأن ينهض بواجباته ومسؤولياته نحوه، فللوطن في الإسلام شأن عظيم، والتفريط في حقه خطر جسيم، لذلك أعلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قيمة الرجل الذي يحافظ على استقرار وطنه ويضحي من أجله بأن الله (عز وجل) لا يعذبه ولا تمس النار عينه، فالجزاء من جنس العمل. فحب الوطن من عوامل الاستقرار الأساسية لأي مجتمع، فالإنسان إذا أحب وطنه استشعر مسنولية المحافظة على أمنه واستقراره، ولا يستجيب لمن يسعى لخراب الأوطان من الأعداء، لأن الإنسان إذا اطمأن في موطنه استقرت نفسه وأبدع في عمله وعظم إنتاجه وعطاؤه. ومن أعظم الأمور التي تساعد في تحقيق استقرار الأوطان: السمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله (عز وجل) قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) (النساء: ٥٩)، فولى الأمر هو ظل الله في الأرض، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله" (رواه الطبراني والبيهقي). وقال (صلى الله عليه وسلم): "من أكرم سلطان الله في الدنيا، أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله في الدنيا، أهانه الله يوم القيامة" (رواه أحمد).

إن طاعة ولي الأمر في طاعة الله ومصالحة الوطن عقيدة يدين بها المسلم لربه، فإن أمر بأمر أو نهى عن أمر وجبت طاعته مالم تكن معصية الله عز وجل. فطاعة ولي الأمر في غير معصية الله فيها صلاح الدين والدنيا، وعصيانه فيه فسادهما، ومعنى (جئته) أي: ستر وحجاب عن الفتن والشُرور. ومن ثم فعلى المرء السمع والطاعة لولاة الأمر، ولا يخرج على جماعة المسلمين فيفرق

كلمتهم، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه" (رواه مسلم).

ولعل السبب في ضرورة السمع والطاعة لأولي الأمر أن ما يترتب على معصيتهم وعدم طاعتهم من المفساد أضعاف ما قد يحصل بالخروج عليهم، على أن للنصح والإصلاح طرفاً ووسائل سلمية وديمقراطية متعددة، وذلك حتى تجتمع كلمة الأمة، ومنع الفرق والشقاق، وما يترتب عليهما من قتل وسفك للدماء وانتهاك للأعراض، واعتداء على الحرمات، وتدمير البلاد، وضياع الأموال، وتشيتت الشمل، وهذا مشاهد وواضح للجميع نتيجة الفوضى التي سببها عدم السمع والطاعة لبعض ولاية الأمور^(١).

لذا كان الإسلام حريصاً أشد الحرص على وقاية المجتمع من الفتن والخوض فيها، ووجهنا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) بتوجيهات وقائية حال وقوع الفتن، وعلم المسلم كيف يتعامل معها ويواجهها. فالله الله في الوحدة والمحافظة على الوطن، والحذر الحذر من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فقد حذرنا منها ربنا (سبحانه وتعالى) في كتابه الكريم في أكثر من موضع، من هذه المواضع ما أخبر الله (عز وجل) به أن الفتن لو نزلت لن تفرق بين مؤيد لها أو معارض، وكذا حذرنا منها النبي (صلى الله عليه وسلم) كثيراً.

فيجب أن يتعاون الجميع من أجل النهوض بهذا الوطن المبارك، والسعي إلى رقية بالجد والاجتهاد، والحفاظ على ممتلكاته، والتقيد بأخلاقه وقيمه، وأنظمته وقوانينه، حتى نرقى بأنفسنا ونحافظ على أمتنا واستقرارنا، فالمواطن الصالح هو من يبني وطنه ويعمل على استقراره ويحافظ عليه ولا يسير خلف أصحاب الهوى والمصالح الشخصية، والدعوات الهدامة الفاسدة والذين يسعون من خلفها لخراب الوطن ونشر الفوضى.

ومن أعظم الفتن التي تهدر أمن واستقرار المجتمع: الدعوات الهدامة التي تصدر من مرضى القلوب وضعفاء الإيمان، الذين لا يؤمنون بوطنهم، أصحاب الفكر المتطرف الذين يعملون على تفكيك المجتمع وزعزعة أمنه، وهدم بنيانه وتمزيق أوصاله، وزلزلة أركانه وتفريق كلمته، لا يكفون عن أساليبهم ومؤامراتهم الخبيثة التي ليس لها هدف سوى إسقاط الدولة والنيل من استقرارها.

إن أخطر ما يهدد البلاد ويؤدي إلى الفرقة والتشاحن وإساءة استخدام الدين، والمزايدة به، سواء بالشعارات الجوفاء أم بالخطب الرنانة، أم بالمجادلات العقيمة التي لا تحقق نتيجة ولا تصل إلى غاية، وقد ظهرت في أيامنا الأخيرة بعض الأصوات الشاذة والدعوات الهدامة التي تدعو بلا حياء ولا خجل إلى الإفساد في الأرض، وسفك الدماء، وترويع الآمنين، وإشاعة الفاحشة، ورب العزة (عز وجل).

(١) نص نفس الخطبة.

هذه الدعوات الهدامة التي يسعى أصحابها لخراب المجتمع ونشر الفوضى وضياع هيبة القانون تشكل خطراً بالغاً على الأمن القومي للأوطان، وتعد أكبر وأهم وقوداً للتطرف والإرهاب، وتعطي ذريعة لوصف المجتمع بما ليس فيه، تلك الدعوات التي يرفعونها قد تؤدي إلى فتن عظيمة تعصف بالبلاد والعباد من قتل وتدمير وتخريب، وزعزعة لأمن الفرد والمجتمع، ولنا فيما حولنا من الدول التي سقطت في الفوضى عبرة وامتعض، وديننا الإسلامي يدعو إلى كل أمن وأمان واستقرار، وينبذ كل عدوان وإرهاب^(١).

خطبة بعنوان: فضل الشهادة ومكانة الشهيد - ٢ من جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ الموافق

٢٠١٦/٣/١١ م. وتضمن ما يلي:

١- فضل الشهادة في سبيل الله.

٢- منزلة الشهيد عند الله عز وجل.

٣- جزاء الشهداء وثمرات الشهادة.

٤- واجبنا في الدفاع عن الوطن.

الإنسان الذي يقدم نفسه دفاعاً عن دينه ووطنه لا تنتهي حياته بالقتل، فهو حي عند ربه حياة ليست كحياتنا، وهو - أيضاً - في ذاكرة أمته حي لا يُنسى بمرور الأزمنة والدهور، إنها حياة تفوق إدراك البشر.

فالإنسان المخلص لدينه ووطنه يبذل نفسه وماله وأعلى ما في يديه، ويتمنى لو أن له بكل شعرة نفساً يقدمها لوطنه ودينه دفاعاً ونصراً، كما يتمنى الحياة مرة أخرى بعد الشهادة لينال الشهادة مرات ومرات، وذلك ليفوز بما أعده الله من الفضائل والعطايا الجزيلة والمنزلة العالية التي يجدها الشهيد بعد موته. ولقد خص الله تعالى الشهيد بفضائل ومنح عديدة وبشارات عظيمة تؤكد علو منزلته عند الله عز وجل. وإذا قُتل الشهيد لم ينقطع عمله الصالح، بل يزيد ويتضاعف.

ومن فضائل الشهيد ما أخبر عنه الحبيب (صلى الله عليه وسلم) من أن الشهيد لا يجد ألم القتل (سكرات الموت). ودم الشهيد تأتي يوم القيامة وريحه ريح المسك، والشهيد تظله الملائكة بأجنحتها.

وأجساد الشهداء محرمة على الأرض، فلا تأكلها، ويؤمنون من فتنة القبر، وأرواحهم في حواصل طير خضر في ظل العرش. ومن فضائل الشهادة أن الله ضمن للشهيد إحدى الحسنين: النصر والغنمة أو الشهادة والجنة. والشهداء يضحك الله إليهم. ولقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الشهيد أول من يدخل الجنة، وأنه لا يسبقه في الفضل إلا النبيون، وأنه يدخل الجنة من أحسن أبوابها شاء. والشهيد لا يدخل الجنة فحسب بل جنان.

إن بلوغ الأهداف الكبرى ونيل الغايات العظمى في هذه الحياة يستلزم من التضحيات ما يتناسب مع سمو الأهداف وشرف المقاصد ونيل الغايات، ويأتي في ذروة التضحيات التضحية بالنفس، وبذل الروح في سبيل الله نصرته لدينه، ورغبة في عزة البلاد وكرامة العباد.

وإن واجبنا في هذه المرحلة التي يمر بها وطننا العزيز أن نسعى جميعاً لحمايته والدفاع عنه من أي عدو أو خطر يهدد أمنه واستقراره، وأن نتكاتف لردع كل من تسول له نفسه أن يجترئ على

(١) نص نفس الخطبة.

وطننا، فمصر تحيط بها مخططات متنوعة، هدفها النيل من مصر وأرضها وشعبها، يقف أمامها المخلصون من أبناء مصر فيقدمون أرواحهم ودماءهم وأموالهم دفاعاً عنها وحماية لأرضها، فمصر هي درع العرب والقلب النابض للإسلام، والدفاع عنها واجب شرعي، وحق ديني، والنيل من مصر هو نيل من الإسلام، وإضعاف للمسلمين في سائر البلاد، فلننقف جميعاً صفاً واحداً في سبيل الدفاع عنها من فساد المفسدين ومكر الماكرين وحقدهم.

خطبة بعنوان: علو الهمة في خدمة الدين والوطن – ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٠١٦/٣/٤م. وتضمنت ما يلي:

- ١- علو الهمة من معالي الأمور.
 - ٢- فوائد علو الهمة.
 - ٣- أثر علو الهمة في إصلاح المجتمع.
 - ٤- دعوة الإسلام إلى استثمار الهمم في البناء والتعمير.
 - ٥- نماذج لبعض أصحاب الهمم العالية.
- فمن علامات التقدم والتحضر أن يصبح التنافس سمة بين الأفراد والفئات المجتمعية المتنوعة التي تهدف إلى خدمة الوطن ورفيقه والاجتهاد في البذل والتضحية من أجل حمايته ورفعته الأمة، أما عندما تتهاوى الهمم في ذلك وتضعف العزائم تحل بالأمة الضعف حتى تصير غنيمة لغيرها من الأمم.

خطبة بعنوان: أمانة الكلمة ومسئوليتها – ١ من رجب ١٤٣٧ هـ الموافق ٨ من إبريل ٢٠١٦م. وتضمنت القضايا التالية:

- ١- منزلة الكلمة في الإسلام.
 - ٢- ضبط اللسان من علامات الإيمان.
 - ٣- أمانة الكلمة ومسئوليتها واجب شرعي وأخلاقي.
 - ٤- خطورة الكلمة وأثرها في حياة الفرد والمجتمع.
- ونظراً لخطورة الكلمة على الإنسان، جاء الأمر الإلهي بضرورة ضبط اللسان وحفظه، وعدم إطلاق العنان له في أعراض الناس، والتحدث بما لا ينفع ولا يفيد، فجوارح الإنسان كلها مرتبطة باللسان، فإن استقامت استقامت وإن اعوج اعوجت. ولقد بين (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) أن اللسان يكون سبباً في دخول الإنسان الجنة أو النار. فالكلمة أمانة، يجب على قائلها أن يتقي الله (عز وجل) فيها، لما لها من خطورة وما يترتب عليها من خير كبير أو شر مستطير.

ولما كانت الكلمة الطيبة دليلاً على إيمان صاحبها كما أخبرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أمرنا الحق سبحانه وتعالى بالكلمة الصادقة لجميع الناس دون تفرقة، وألا ننطق إلا بالقول الرشيد الذي يصلح ولا يفسد، يبني ولا يهدم، يعمر ولا يخرّب. لذلك كان توجيه الإسلام إلى التثبت والتحقق من كل ما يقال أو يشاع، إذ ليس كل ما يقال يُصدق.

إن أمانة الكلمة ومسئوليتها واجب شرعي وأخلاقي، لأنها تجمع شمل الأمة، وتقوي عزيمتها، وتحول العدو إلى صديق، وتقلب الضغائن إلى محبة، وتمنع كيد الشيطان، كما أن الكلمة الطيبة تؤلف القلوب، وتصلح النفوس، وتذهب الأحزان، وتزيل الغضب، وتشعر بالرضا والسعادة لاسيما إذا رافقتها ابتسامة صادقة. كما أن أمانة الكلمة تتطلب من صاحبها ألا ينطق إلا بالخير والصدق، فلا يكذب ولا يخادع ولا يشهد زوراً ولا يدلس ولا يقلب الحقائق، ولا يتحدث بغير علم. كذلك تتطلب أمانة الكلمة الصدق في النصيحة والمشورة لمن طلبها، فالدين النصيحة كما أخبر الصادق الأمين (صلى الله عليه وسلم). إن الكلمة سلاح خطير ذو حدين، إما أن تكون سبباً في البناء والإعمار إذا كانت صادقة أمينة صالحة، وإما أن تكون سبباً في الهدم والفساد والدمار إن كانت كاذبة باطلة فاسدة، فليست الكلمة أمراً هيناً، بل لها أهمية عظيمة في حياة الإنسان، وما يتعامل به مع الناس، من بيع وشراء وعقود ومعاهدات، ونحو ذلك مما يتطلب الصدق في الحديث. وكذلك للكلمة أيضاً أثرها الطيب في حسن العلاقة بين المسلم وغيره، حتى مع الأعداء.

جدير بالذكر أن الكلمة المكتوبة لها أفات وأضرار تدمر الأمة بأسرها، لا تقل خطراً عن الكلمة المنطوقة، فكلتا الكلمتين أمانة، من هنا وجب على كل صاحب قلم أن يعطي القلم حقه ويؤديه كما ينبغي، ويحرص عليه من الوقوع في الزلل، فهو يعكس خلقه وأراءه، ويستعمله في مناصرة الحق، والمناداة للفضيلة.

ومن ثم فإن نشر الأخبار الكاذبة، وتشويه الحقائق أو تدليسها، والنيل من أعراض الشرفاء، وكل ما يتصل بنشر ما يشيع الفاحشة في المجتمع يُعد خيانة للكلمة. فليثق الله كل صاحب كلم مكتوبة، وليعلم علم اليقين أن ما سطره سيبقى شاهداً له أو عليه.

فليدرك كل إنسان مسئوليته الكاملة أمام الله - عز وجل - وأمام ضميره وأمام الخلق عن كل ما يتحدث به، حتى لا يكون سبباً في الفرقة والتنافر بين أبناء المجتمع الواحد، وحتى لا يكون سبباً في قطع الأرحام، وإفساد العلاقات بين الناس.

خطبة بعنوان: الشكر ... حقيقته وأثره في حفظ النعم - ١٥ من رجب ١٤٣٧ هـ الموافق ٢٢ من أبريل ٢٠١٦ م. وتضمنت القضايا التالية:

- ١- حقيقة الشكر وفضله.
- ٢- أنواع الشكر.
- ٣- الشكر من صفات الأنبياء والصالحين.
- ٤- ثمرات الشكر وأثره في حفظ النعم.
- ٥- شكر أهل المعروف من شكر الله.

لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، وكل نعمة من هذه النعم تقتضي أن يفكر فيها الإنسان، حتى يدرك أسرارها وقيمتها وأهميتها، ويتدبر عظيم نعم الله عز وجل عليه. ولو أحسن الناس النظر والتفكير فيما حولهم، لوجدوا أنفسهم محاطين بنعم كثيرة لا يستطيعون عدّها ولا القيام بشكرها. والشكر: دليل على صفاء النفس، وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وكمال العقل، وهو - في حد ذاته - نعمة من الله تستحق الشكر عليها؛ فنشكر الله - تعالى - أن ألهمنا شكره، ومن هنا يتوالى الشكر ولا ينقطع.

والشكر ليس قاصراً على شكر العبد لربه، فإذا كان أول من يشكر هو الله سبحانه لأنه صاحب الفضل والمنة والنعمة، ولا منعم في الحقيقة سواه، فإن شكر الوالدين يأتي بعد شكر الله عز وجل، لما قدماه لأبنائهم من كل خير في الحياة، لذا قرن الله - تعالى شكرهما بشكره وطاعتهما بطاعته في أكثر من موطن في كتابه الكريم.

ومن كمال شكر الله تعالى الشكر لكل من أسدى إلينا معروفاً، فهو من باب شكر الله تعالى، فإذا رأيت ربك يوالي عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذر، فإن النعمة مع المعصية تصبح نقمة، وكل نعمة لا تقرب من الله فهي نقمة. فينبغي للعبد أن يكون شاكراً لله عز وجل على نعمه، ويتحدث بها، ويستعملها في مرضاته سبحانه، وخدمة وطنه وأمه.

خطبة بعنوان: نعمة الرضا - ٢٠ شعبان ١٤٣٧ هـ / ٢٧ مايو ٢٠١٦ م. وتضمنت ما يلي:

١- الرضا نعمة من أهم نعم الله تعالى على الإنسان.

٢- فضل الرضا وأثره على المسلم.

٣- أنواع الرضا.

٤- أمور تعين العبد على الرضا.

٥- الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع الرضا.

٦- نماذج للرضا في حياة الأنبياء والصالحين.

٧- ثمرات الرضا.

ولقد اقتضت إرادة الله سبحانه وتعالى ألا تكون حياة الناس وديارهم يسراً خالصاً أو عسراً محضاً، بل خير وشر، غنى وفقر، صحة ومرض، فما من أحد من الخلق إلا وهو مبتلى إما بمرض، أو فقر، أو فقد ولد، أو غير ذلك من مشاكل الدنيا ومصائبها.. لكن ذلك كله يهون على المسلم بما رزقه الله تعالى من صبر ورضا، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، فإذا ما رضي العبد بقضاء الله (عز وجل)، وصبر على المحن والابتلاءات ارتقت درجاته عند ربه، فإنه سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً ابتلاه فإذا صبر اجتباه.

لذلك كانت نعمة الرضا من أعظم نعم الله (عز وجل) على الإنسان، فهي منة ربانية عظيمة، ومنحة إلهية جليلة، وعبادة قلبية رفيعة الشأن، ودرجة إيمانية عالية، لا ينالها إلا من عمر قلبه بالإيمان، وعرف ربه حق المعرفة، والتزم بالأوامر واجتنب النواهي، وعزفت نفسه عن الدنيا بملذاتها حتى استوي عنده حجرها بمدرها، فالرضا أساس من أسس الإسلام وكمال الإيمان.

فنعمة الرضا تجعل صاحبها يتذوق حلاوة الإيمان، بل قد أقسم الله (عز وجل) بأن الوصول لدرجة كمال الإيمان مرهون بالرضا والتسليم والإذعان المطلق لكتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وخاصة عند النوازل، وهذه هي حقيقة الرضا عن الله (عز وجل).

وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى لا يختار لعبده إلا الأفضل والأصلح له، فالأرزاق بيد الله، ومقاديرها عند الله، وأن الفقر قد يكون أفضل للإنسان من الغنى، فمن العباد من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغناه الله تعالى لفسدت حياته. وهذا نبينا (صلى الله عليه وسلم) عاش ألواناً من الفاقة والحاجة فواجهها بالرضا والقناعة. كما أن الرضا بقضاء الله (عز وجل) دليل على محبة الله

(تعالى) لعبده ورضاه عنه، وهذه هي الغاية التي يريها ويتناها ويسعى إليها كل مؤمن. والرضا بالله من ثماره يستلزم لصاحبه الفوز بالجنة والنجاة من عذاب النار.

وهناك أمور تعين العبد على الوصول إلى مقام الرضا، منها:

القناعة بما قسمه الله عز وجل والتيقن أنه لا مفر أمامنا غير الرضا بما قدره الله تعالى، والعلم بأن جزعنا وسخطنا وعدم تسليمنا لن يغير من قضاء الله شيئاً. مجاهدة النفس بتعويدها ومجاهدتها على الطاعة والعبادة، فإن مجاهدة النفس وتعويدها على الطاعة طريق لتحقيق الاستقامة ومن ثم يتحقق الرضا. النظر إلى من هو أسفل منا في العطاء، خاصة المهمومين والمكروبين وأصحاب المصائب المختلفة وذلك أدعى للرضا.

ومن أهم الأمور التي تعين على الرضا: الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل أن يرزقنا الرضا. إن الإنسان بدون الرضا يقع فريسة لليأس والإحباط، فتحيط به الهموم والغوم من كل مكان، ولنعلم جميعاً أن الرضا لا يعني الاستسلام أو اليأس وتبذل المشاعر، وغير ذلك من مظاهر السلبية، فهذا خداع للنفس ومفهوم خاطئ عن الرضا. وفي حياة الرسل والأنبياء (عليهم السلام) والصالحين صور مشرقة في تحقيقهم لكامل الرضا عن الله عز وجل.

وأما عن ثمرات الرضا فكثيرة، منها: رضا الخالق سبحانه وتعالى، فإذا رضي العبد عن ربه فيما أمره به وفيما قسمه وقدره له رضي عنه ربه عز وجل، ومنها: محبة الله سبحانه وتعالى للراضين بقضائه، كذلك من ثمرات الرضا الراحة النفسية والروحية للإنسان، وتجنب الأزمات النفسية من القلق والتوتر، فالرضا يثمر طمأنينة في القلب وينزل عليه السكينة، فيثق القلب بموعود الله عز وجل.

فليحافظ كل إنسان على الرضا، فمن وطن نفسه عليه أفلح في الدارين، ومن وضعه نصب عينيه وصل إلى جنة عرضها السموات والأرض، والسخط والجزع لن يغير الواقع والقدر ولكنه يزيد الذنب ويغضب الرب.

خطبة بعنوان: من صور المال الحرام المدمرة للأفراد والمجتمعات - ١٠ شوال ١٤٣٧ هـ الموافق ١٥ يوليه ٢٠١٦ م. وتضمنت القضايا التالية:

- ١- خطورة المال الحرام.
- ٢- من صور المال الحرام.
- استباحة المال العام.
- أكل أموال الناس بالباطل.
- أكل مال اليتيم.
- أكل حق الغير في الميراث.
- المال المكتسب بطريق الرشوة أو الغش أو تطفيف الكيل والميزان.
- ٣- أثر الأموال المحرمة على الأفراد والمجتمعات.
- ٤- ضرورة تحري المال الحلال.

الأموال في الإسلام وسيلة لا غاية، فهي وسيلة لعبادة الله تعالى وحده وإقامة ما أمر به من عمارة للكون، وهي وسيلة للصالح والإصلاح، ووسيلة للبر والصلة والتكافل بين المسلمين، وسيلة لدعم

قضايا الأمة الإسلامية لتحقيق معاني التواد والتراحم والتعاون والتكافل بين أفراد الأمة. ومتى تعامل الناس مع المال على أنه وسيلة لا غاية كان نعمة. أما إذا كان المال مستخدماً في الفساد كان وبالاً وشرأ، وشقاءً وتعاسةً على صاحبه.

وجاءت الشريعة الإسلامية السمحة تحت المسلمين إلى ضرورة السعي في تحصيل المال واكتسابه من طرق مباحة ومشروعة، ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير. كما أن الإسلام بتعاليمه السمحة التي تراعي مصالح العباد حذر أشد التحذير من الأموال المحرمة لما فيها من شر ووبال على صاحبها في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقد تكون العقوبة خسارة في المال، ومحق البركة منه، فيكثر المال وتقل البركة، وأما في الآخرة، فمآله إلى النار وبئس القرار.

وإن المتأمل في عالم الناس اليوم يرى أنه عالم تغيرت فيه كثير من القيم الصحيحة، وتبدلت فيه المفاهيم المستقيمة، عالم سيطرت فيه المادة، فراحوا يجمعون الدنيا بكل طريق ويستكثرون منها بأي سبيل، وتساهلوا في جمع الأموال، لا يهتمهم حلال أم حرام، فظهرت في المجتمعات بعض الصور المحرمة للاعتداء على الأموال تؤدي إلى تدمير المجتمع ونزع الخير منه، من هذه الصور: استباحة المال العام: إن حرمة المال العام أشد من حرمة المال الخاص، لكثرة الحقوق المتعلقة به، وتعدد الذمم المألقة له، ولذلك حذر الإسلام من إتلافه أو سرقة أو الإضرار به، أو الاعتداء عليه بأي صورة من الصور.

ولقد وضعت الشريعة الإسلامية الأحكام والمبادئ من أجل حماية المال العام وتحريم الاعتداء عليه، فالمحافظة عليه مسئولية الجميع، لعموم منفعته للجميع. إن حماية المال العام ضرورة شرعية، لأن به تدار شئون البلاد والعباد، ويعتبر الاعتداء عليه اعتداءً على مجموع الأفراد والمجتمع، لأن الذي يسرق من المال العام فإنه يسرق من الأمة كلها، وعليه إثم كل من له حق في هذا المال، فسرقته أعظم جرماً من سرقة المال الخاص.

إن المال العام أمانة لدى جميع أفراد الأمة، فيجب عليهم أن يحافظوا على تلك الأمانة، وأن يرعوا حق رعايتها. والمال العام ملك للناس جميعاً، وليس ملكاً لفئة معينة من الناس، والقائمون عليه إنما هم أمناء في حفظه وتحصيله، وصرفه لأهله، فلا يحل لأحد أن يعتدي عليه، أو يأخذ منه مالا يستحق، لأن ذلك يعد خيانة وظلماً للناس جميعاً.

ولقد كثرت في الآونة الأخيرة صور الاعتداء على المال العام مثل السرقة، والتحايل، أو الاختلاس، أو تضييع وقت العمل الذي يتقاضى نظيره أجر، أو استغلال المال العام لأغراض سياسية حزبية فئوية، واغتصاب الأرض المملوكة للدولة بوضع اليد عليها ظلماً. ومنها: أكل أموال الناس بالباطل: فكما حرم الإسلام الاعتداء على المال العام، حرم أيضاً الاعتداء على المال الخاص بالسرقة أو الغصب أو بأي صورة من صور الاعتداء المحرم على الأموال.

إن الاعتداء على أموال الناس بالباطل داء عضال أهلك الله بسببه الكثير من الأمم، فأهلك مدين قوم شعيب لأكلهم أموال الناس بالباطل عن طريق الكيل بيعة وشرء، وكان جزاؤهم الهلاك والدمار. وصور أكل أموال الناس بالباطل متعددة ومتنوعة منها ما يكون بالظلم والقهر والغصب ومنها ما يكون بالنصب والاحتيال والغش والتدليس بيعة وشرء، ومنها ما يكون بتضييع الحقوق وخيانة الأمانة والمماطلة في تسديد الديون وغير ذلك من الصورة التي إن تنوعت فإنها محرمة.

ومنها: قبول الرشوة: وهي إحدى طرق كسب المال المحرم، وهي من أشد الأمراض الاجتماعية فتكا بأخلاق الأمم، وكيانها فتعود عليها بالوبال والدمار في الأسر والمجتمعات والأفراد، فإذا فشت الرشوة في أمة من الأمم وتجراً الناس على تعاطيها، فأعلم أن الضمان قد ماتت، والإيمان قد ضعف في النفوس والقلوب.

وقد شدد الشرع على حرمة أخذها أو دفعها أو التوسط بين الراشي والمرتشي، والثلاثة مطرودون من رحمة الله تعالى، ومعرضون لسخطه وغضبه، وما هذا إلا لأن الرشوة قتل لكفاءات المجتمع، ودعوة صريحة لهدم بنيانه الذي يقوم عليه ازدهاره وتقدمه.

وما دخلت الرشوة عملاً إلا أعاقته، ولا مجتمعاً إلا أفسدته، فكل منهم ظالم المرتشي لأخذه الذي يحمله على الجور في حكمه، أو التساهل في عمله، والغلظة على من لا يدفع شيئاً، وتقطيب وجهه أمامه حتى يجعله يهاب من مراجعته؛ والدافع لها عون كبير على الظلم، وعلى تشجيع الظالمين، ومفسد لقلوبهم على الآخرين، الذين تأبى أذواقهم السليمة، ومظهرهم المستقيم، وعقيدتهم الحية عن دفع الرشوة، والساعي بينهما راض لفعلهما ومقر لمنكرهما، والراضي كالفاعل. فالرشوة أكل للأموال بالباطل، وتناول للسحت. ومن أقيح وأخس الأساليب الملتوية للحصول على الرشوة: تعطيل مصالح الناس والتسويق في إنجازها إلى أن يتم أخذ الرشوة، وفي ذلك خيانة للأمانة.

إن المال المحرم بصوره المتعددة له آثار مدمرة على الأفراد والمجتمعات، فهو شؤم وبلاء على صاحبه، بسببه يصاب القلب بالقسوة، ويذهب الإيمان شيئاً فشيئاً، ويعمي البصيرة، ويمنع إجابة الدعاء، ممحوق البركة، إن أنفقه صاحبه في بر لم يُوجر، وإن بذله في نفع لم يشكر. وبسببه تسود روح الخصومة والتناحر والتفرق في المجتمع، ويؤدي إلى تضييع الأمانات وتدمير الأخلاق والقيم، ألا فالحذر الحذر من الأموال المحرمة لما تجلبه من خزي وعار على صاحبها في الدنيا والآخرة، ودمار للمجتمعات وهدم لبنيان الحضارة.

رابعاً: استخلاصات قضايا الخطاب الديني :

يحقق الدين للبشر مكاسب في الدنيا والآخرة، ويؤكد الإسلام هذه المعادلة بين الحياة الدنيا والآخرة، فالإنسان يجب أن يعمل لدنياه كأنه يعيش فيها أبداً، وأن يعمل لآخريته كأنه يموت غداً. وقد حرص التشريع الإسلامي على إعمار الأرض واستثمار خيراتها بما ينفع الناس. كما عبّر فقهاء الإسلام عن هذه العقيدة خير تعبير عندما أكدوا على أن الشرع الإسلامي له مقاصد يجب أن يحققها، وهي حفظ الدين والمال والنفس والعرض... إلخ.

وفي سياق متصل، قدم كثير من الفقهاء المعاصرين تفسيرات واجتهادات تتابع ما أكده السلف الصالح، وتتفاعل مع قضايا العصر، وفي دعوتهم جميعاً نكتشف إسلاماً وسطيّاً يدعو إلى موازنة الدنيا والآخرة، وإلى عدم التفريط أو الإفراط، وإلى التفاعل بإيجابية مع متغيرات العصر.

والتساؤل الذي يُطرح بناء على ذلك: هل ينعكس هذا التوجه في الخطاب الديني؟ وهل يؤسس الخطاب الديني لقيم بناء الحياة الدنيا مثلما يؤسس لقيم الآخرة؟ تدعونا الإجابة عن هذين السؤالين إلى فحص موضوعات الخطب المنبرية على محك الدين والدنيا، وأن نتعرف على الموضوعات الفرعية التي تطرحها تلك الخطب عندما تتناول موضوع الحياة الدنيا. وإذا كان

التحليل يتجه إلى النصوص مباشرة، فإن هدفه النهائي أبعد من ذلك، أن يكتشف إلى أي مدى يُشاكل النص الواقع؟ هل يهرب منه أم يتفاعل معه على نحو أو آخر؟ وهل هو في النهاية نص مفارق، أم نص محايت، هل ثمة محاولة لتغيير السياق، أم محاولة لفرض سلطة على السياق؟ كل هذه وغيرها أسئلة تلازم دراستنا لاتصال موضوعات الخطاب الديني بعالم الحياة الدنيا أم بعالم الآخرة^(١).

جدول رقم (١)

يوضح مصفوفة قيم الخطاب الديني الذي يشملها البحث

| مصفوفة القيم الأخروية | مصفوفة القيم الدنيوية |
|-----------------------|--------------------------------------|
| الشهادة في سبيل الله | كف الأذى |
| الحج | الإرادة والعمل. |
| التكافل الاجتماعي | محاربة الإهمال |
| البر | المشاركة الإيجابية |
| العبادات والسلوك | الكلم الطيب |
| الشهادة ومكانة الشهيد | أدب الحوار |
| خدمة الدين | محاربة الفساد |
| نعمة الرضا | محاربة الشائعات |
| | خدمة الوطن |
| | مواجهة الإرهاب |
| | لا للإرهاب |
| | لا للقتل |
| | لا للتخريب |
| | السلم |
| | الاصطفاف |
| | بناء الوطن |
| | التصدي للدعوات الهدامة |
| | خدمة الوطن |
| | شكر ولي الأمر |
| | المال الحرام مدمر للأفراد وللمجتمعات |

(١) استعنا في هذا الصدد بمنهجية أ.د. أحمد عبد الله زايد في دراسته عن: قيم التنمية في الخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق الإشارة إليه.

أ – التوجه الأخرى للخطاب:

كان خيط البداية في تحليل عينة الخطب المنبرية هو البحث فيما إذا كانت الرسالة المتضمنة في الخطبة توجه جماهير المصلين نحو الحياة الدنيا أم نحو الآخرة. وقد وضعنا تعريفا محددا لما هو ديني، فالخطب الدينية هي الخطب التي تتجه الرسالة فيها نحو تأكيد أمور دينية مثل العلاقة بالله، والنبى وصفاته، والحديث عن الإسلام ومثله العليا، أو الحديث عن رحلة الآخرة أو عن فتاوى بعينها، أو عن القرآن أو تفسيره وإعجازه، أو العبادات والفروض بأنواعها، أو الأحداث التاريخية ذات الصبغة الدينية، أما الخطب التي تتجه الرسالة فيها نحو الأمور الدنيوية فتناقش أموراً سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية، أو العلاقة مع الآخرين، أو نقد سلوكيات، أو تأكيد قيم ومثل عليا وآداب سلوكية، أو الحديث عن المستقبل.

كشفت القراءة الإحصائية عن أن الطابع الدنيوي يغلب على الخطاب، فقد بلغت عدد الخطب ذات التوجه الديني ٢٠ خطبة، في حين بلغت عدد الخطب ذات التوجه الدنيوي ٨ خطب، وجاءت الموضوعات التي تناقشها الخطب الدينية متجهة في معظمها نحو الحياة الأخرى على النحو التالي:

جدول رقم (٢)

قضايا تضمنتها الخطب ذات التوجه الديني:

| الموضوعات | التكرار |
|----------------------|---------|
| الشهادة في سبيل الله | ٦ |
| الحج | ٢ |
| التكافل الاجتماعي | ٢ |
| البر | ٢ |
| العبادات والسلوك | ٤ |
| الشهادة | ٩ |
| خدمة الدين | ٣ |
| نعمة الرضا | ٨ |
| الجملة | ٣٦ |

ولهذا الترتيب دلالات يمكن تأويلها، وهو يعكس رؤية للعالم على التوالي.

التوجه الدنيوي للخطاب:

ينهي الخطاب الديني لأنمة المساجد عن التعلق بالدنيا والاهتمام بها، وقد بلغ عدد الخطب التي صنفت على أنها تتناول موضوعات دنيوية على نحو مباشر ٢٠ خطبة من إجمالي الخطب وعددها ٢١ خطبة. وتطرفت لمجموعة من الموضوعات والقضايا التي ربما تكون دنيوية ولكن يدعمها الدين.

قيم الولاء للوطن وللدولة في الخطاب الديني: تحليل معياري:

السؤال المحوري الذي يتجه هذا الجزء إلى الإجابة عنه هو: هل يبث الخطاب الديني رسائل تحت الأفراد والجماعات على تحقيق الولاء للوطن وللدولة؟ بمعنى آخر هل ثمة قصدية في الخطاب نحو

توجيه المستمعين إلى بناء أنفسهم كأفراد وبناء مجتمعهم كوطن؟ إن بحث هذا السؤال أو ذلك يصب في بحث منظومة القيم التي يؤكدھا الخطاب، فهل يدفع الخطاب الناس – مثلاً – الدفاع عن الوطن والدولة، أم أنه يتجاهل مثل هذه القيم؟ وإذا ما اهتم بها، ففي أية حدود؟ وبأية طريقة؟ وهل ثمة قسدية تواصلية في الاهتمام بمثل هذه القيم وغيرها؟ أم أن الاهتمام يأتي بشكل عرضي دون قصد واضح؟

عرض لأهم النتائج:

ومن البحث يمكن تلخيص حالة الخطاب الديني الراهن في العناصر التالية:
دنيوية الخطاب الديني:

فالخطاب ينشغل بالحياة الدنيا أكثر من انشغاله بالحياة الآخرة، فقد دل التحليل على أن ٨٠% من موضوعات الخطاب تتجه نحو موضوعات تتصل بالدنيا وحماية الوطن.

الموضوعات الأخروية في الخطاب الديني:

إن العدد القليل من الخطب التي تتجه نحو موضوعات آخروية يتجه الخطاب فيها إلى ترسيخ الإيمان في النفوس أكثر من توجيه الناس إلى أهداف محددة إلا في النذر اليسير. وثمة إضاعات في الخطاب المتصل ببناء الحياة الدنيا، ولكن جُل الخطاب حول الحياة الدنيا لا يسير في هذا بقدر ما يحاول المقارنة بين أحوال المسلمين الراهنة وبين ما يعتبره سلوكاً مثالياً.

الوعي بتخلف الواقع في الخطاب الديني:

ويميط الخطاب اللثام عن وعي بتخلف الواقع وسقوطه إلى الدرك الحضاري الأسفل، ولكنه يتجه في تناوله لهذا الواقع وجهات كثيرة:

أ – نقد هذا الواقع وإلقاء اللائمة على المسلمين.

ب – تفسير أسباب هذا التخلف بالبعد عن الدين وعن الإيمان الصحيح.

ج – المقارنة بين هذا الواقع وبين الماضي الذي انتصر فيه الإسلام انتصاراً عظيماً وبنى حضارة عظيمة.

د – ومن هنا تكون النهضة بالعودة إلى الإسلام الصحيح.

ثمة إسلام غائب، وثمة فرائض غائبة، وثمة قطيعة بين النص والواقع، ولكن هذه القطيعة تحل عبر الخطاب لا بدمج النص في الواقع، وإنما بالانعكاسية الماضوية، أي بالحديث عن الماضي على أنه نموذج مثالي. فالماضي كان ذهبياً ناصعاً، والحاضر حديداً أسوداً صدنا يحتاج إلى تجلية، ولا طريق إلى ذلك إلا بالقياس على هذا الماضي واحتذائه، يرتمي الخطاب بذلك في أحضان الماضوية، فيترك الحاضر صلداً مبطوطاً وآسناً. يظل الخطاب هنا منفصلاً عن الواقع الذي يتخيل أنه يغيره، يظل الخطاب يخایل النهضة في الماضي من ناحية، ويبحث عن خلاص في الآخرة بمزيد من العبادة والتعلق بالموت وما وراءه، فتتعمق القطيعة بين النصوص والواقع، ويظل كل منهما ينمو ويتكاثر بمعزل عن الآخر^(١). إلا أن موضوعات التضحية من أجل الوطن والاستشهاد والوقوف ضد العابثين بمصالح الوطن هي قيم دنيوية.

(١) أحمد عبد الله زايد، قيم التنمية في الخطاب الديني المعاصر، مرجع سابق، ص ٢٢.

الأسس العامة لتطوير الخطاب الديني:

تحديد وظيفة الدين ونطاق تأثيره في الحياة:

من الأهمية بمكان أن يتم هذا التحديد على المستوى المفهومي، ويتشكل عبر الخطاب السياسي العام. والمقصود من هذا أن يقوم تطوير الخطاب الديني وتجديده على إطار من الفهم العام لدور الدين في المجتمع.

ومن الأمور الهامة في قضية تطوير الخطاب محاولة خلق إجماع بين مؤسساته، فالخطاب في معظمه يشي بقدر كبير من التعددية والفوضى، ومن ثم فإنه بحاجة إلى خطوط عامة يلتزم بها، هذه الخطوط العامة يجب أن تستدمج في خطط وبرامج الدولة ذاتها. ولاشك أن تغيير الواقع الحالي لا يرتبط بتطوير الخطاب الديني وحده، ولكن يرتبط بتطوير سياسات أخرى في مجالات متعددة تقع عليها مسئولية المشاركة في التطوير مثل المجال التعليمي والإعلامي وخلافه.

كما تحتاج سياسات تجديد الخطاب الديني إلى رؤية متكاملة تستهدف التجديد. بحيث يتجه الخطاب نحو دفع عملية التنمية، ونحو تخليق طاقة للعمل والإنجاز، ونحو دفع العمل الجماعي وقيم المواطنة، والمشاركة السياسية، وبلورة قيم شخصية تعمل على تعضيد كل هذه المستويات من التنمية.

في إطار التوسع في الموضوعات التي تتحدث عن القيم الإنسانية العامة كالعدل والعلم والحرية، والاهتمام بالموضوعات التي تعالج قضايا الإنتاج والادخار والاستثمار، وقضايا العمل وأهميته مع الاهتمام بالموضوعات التي تدفع الناس إلى التضامن والتسامح والتعاون والعيش المشترك في إطاره مفهوم مجرد عن الإنسان في علاقته بأخيه الإنسان، مع العمل على تكوين وإعادة تنشئة مهنية للدعاة بحيث يتم بناء نظرة إلى العالم لدى الدعاة تكون أكثر انفتاحا، وأكثر قدرة على رؤية مختلفة لدور الدين في الحياة، أي دوره في تحقيق التقدم وبناء الحضارة.

خامسا : الدور الاجتماعي للأئمة والخطباء في تحقيق الأمن الفكري:

١- أن العلماء إذا أخلصوا ونصحوا وتحملوا يسيرا من المشقة في مواجهة الخلق بالصبر والحلم وعدم الاكتراث بالمظهر الذي يخص الشخص والنفس، فإتهم بذلك يتمكنون تمكنا حسنا من بث روح الأخوة، والتقرب بين القلوب، والتأليف بين المتخاصمين والمتنازعين، ومن السعي في الإصلاح بينهم^(١).

وبهذه النوعية، وهذا النصح لكل أفراد المجتمع من خلال خطبة الجمعة، أو الدروس الأسبوعية أو الكلمات الوعظية، يتمكن كل من الخطيب والإمام من تحقيق التلاحم بين أفراد المجتمع المسلم، الذي يسد الباب أمام كل اختلاف أو صراع بينهم.

٢- من الأمور المهمة التي ينبغي للأئمة والخطباء أن يكونوا على علم دقيق بها، ليتمكنوا من تحقيق السكينة للمجتمع المسلم، إن الشباب المسلم مطالب بأن يكون قوى الإيمان، صحيح العقيدة، وأنه مطالب أيضا بأن يكون ذا عقل سليم، وفكر مستقيم، ومن هنا كان دور التوجيه والإرشاد مهم ومفيد في حث الشباب على طلب العلم والاستزادة منه.

(١) عمر بن حفص، مكانة العلماء ودورهم في المجتمع، بحث في مجلة الأوقاف والإرشاد اليمنية (محاضرات الدورات التدريبية للخطباء والمرشدين) د (د.ت) مطابع اليمن الحديثة، صنعاء ج ١، ص ٦٥.

كما أن العلم الواجب على مسلم أن يتعلمه هو ما لا يد منه في دينه ودينه، أما دينه فلا بد أن يتعلم العلوم التي يعرف بها عقيدته، معرفة يقينه سالمة من الشكيات والخرافات، ويتعلم أيضاً من العلوم ما تصح به عبادته ظاهراً بأن يكون على الصورة المشروعة، وباطناً بأن تتوافر فيها النية الخالصة لله تعالى، ويتعلم كذلك من العلوم ما يزكي بها نفسه، ويظهر بها قلبه، بأن يعرف الفضائل ويتخلق بها، ويعرف الرذائل ليتجنبها ويتوقاها.

وواقع أن هناك واجب اجتماعي للخطباء في تحقيق الأمن الفكري كما يلي:
التوعية لفهم التسامح الديني، وترسيخ منهج الوسطية والاعتدال لدى شباب المجتمع: ففي مقابل الحوار مع الديانات الأخرى والتي هي أحسن بطرح ضرورة احترام هذه الديانات، وعدم القدح في علمائها والمنتمين إليها. كما أن التسامح الديني للإسلام مع الآخرين هو ما يكفل إمكانية التعايش السلمي السوي مع العالم، وهو ما يعكس صورة نقيّة مؤثرة لديننا الحنيف لدى الآخرين. ودور الأئمة والخطباء كبير ومهم في تبصير المجتمعات بسمو سماحة ويسر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.

العناية بتعميق فهم التيسير واليسر، ورفع الحرج: ومن المهم جداً أن يكون موضوع التيسير منهجاً مهماً في واقع الدعوة إلى الله تعالى، ويرتكز عليه الدعاة في التبليغ والتطبيق، ولتحقيق هذا الجانب لا بد من استخدام المسالك التالية: تغليب الإباحة على التحريم، إقرار الرخص في محالها، تقديم الترغيب والتبشير.

إبراز أهمية استخدام الترغيب والتبشير والتذكير: فالأولى أن نبشر المسلمين، ونرغبهم بما وعدهم ربهم والبشر من البشير فهو يطلب بشر الوجه وطلافته، واللسان العذب، والقلب المحب للداعية، وهي الصفات التي تضيء عليه القبول، والحب من جمهور متلقيه.

إبراز خطورة التطرف الفكري، والتكفير على الفرد المجتمع وعلى الدعوة والدعاة.
السعي إلى تأليف القلوب، وتجنب الغلظة، والخشونة في النصح.

ولاشك أن تأليف قلوب المسلمين من أبواب الترغيب والترهيب، والإحساس بإخوة الإسلام، فيثبت من كان حديثاً أو جديداً على الإسلام، أو يستقيم من كان منحرفاً عن الطاعات،- أو يتوب من كان واقعاً في معصية، أو يعود من كان شارداً عن الحق.

وربما لن نتجاوز الحقيقة لو قلنا، إنه يستحب للداعية الفقيه الواعي، أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك بعض المستحبات، وما ترجح عنده، فيعمل بالمرجوح تأليفاً للقلوب، ودفعاً للضغائن، والشقاق، لأن مصلحة التأليف بين المسلمين، أعظم من مصلحة فعل المستحبات والاستمساك بالراجح.